نقوش على جذع نخلة

شعر يحيى السماوي

Inscriptions on the Trunk of a Palm

(Nuqoosh ala Jith'i Nakhla)

Poet: YAHIA AL-SAMAWY

First Edition
2006

لوحة الغلاف بريشة الفنان **عبدالله الشيخ**
التنفيذ والطباعة **حسين علي جرادي**
رقم الايداع الدولي ISBN 0-9751200-2-6

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

الى شقيقتيَّ:
"أم نوفل" وهي تنتقل من مقبرة جماعية الى اخرى، أملاً في العثور على بقايا عظام من رفات زوجها.

"أم احمد" وهي تحتضن رأس زوجها المثقّب بالرصاص الامريكي امام مسجد بغدادي...
لهما، والى كل العراقيين الذين اودت بحياتهم المشانق الصدامية، وقنابل البنتاغون، اهدي هذه القصائد.



اخرجوا من وطني

هذه الأرضُ التي نَعْشَقُ

لا تُنْبِتُ وردَ الياسمينْ

للغزاةِ الطامعينْ

والفراتُ الفَحْلُ

لا ينجبُ زيتوناً وتينْ

في ظلال المارقينْ

فاخْرِجوا من وطني المذبوحِ شعباً

وبساتينَ..

وانهاراً ... وطينْ

فاتركونا بسلامٍ آمنينْ

نحن لا نَسْتَبْدِلُ الخنزيرَ بالذئبِ

ولا الطاعونَ بالسُّلِّ

وموتاً بالجُذامْ

فاخْرِجوا من وطني...

خُوْذَةُ المُحتَلِّ لا يمكن أن تُصْبِحَ عُشّاً للحَمامْ

فاخْرِجوا من وطني...

والدَمُ المسفوحُ لن يُصْبِحَ أزهارَ خُزامْ

فاخْرِجوا من وطني...

والبساتينُ التي غادَرَها النَبْعُ

وما مَرَّ عليها – منذ جيلينِ – الغَمامْ

تَصْرَخُ الانَ اخرجوا من وطني...

وارفعوا – قبل العقوبات – أياديكم

عن الشعبِ المُضامْ

حَرِّرونا منكم الآن...

ومن زيفِ الشعاراتِ

وَتُجّارِ حروبِ «النفطِ والشَفْطِ»

وأَصْحابِ حوانيتِ النضالْ

سارقي أَرْغِفَةِ الشعبِ

أَدِلاّءِ جيوشِ الإحتلالْ

والمرائين الذين اسْتَمْرأوا العهرَ

منادين بحقِ المرءِ في السَحْتِ

وبالكفرِ الحلالْ

فاخرجوا من وطني...

واشربوا نَخْبَ انتصارِ القائدِ السجّانِ

في الحربِ على الشعبِ السجينْ

نحن مهزومونَ من قَبْلِ ابتداءِ الحربِ:

نَخْلٌ يشحذُ التَمْرَ...

حقولٌ تَشْحَذُ القمحَ...

وطينْ

سال منه الدمُ

من بوّابَةِ القَصْرِ

الى محرابِ ربِ العالمينْ

فاخرجوا من وطني

وامْنَحونا فرصةَ الدَّفْنِ لموتانا

وأنْ نُخْرِجَ من تحتِ الرُّكامْ

جُثَثاً ما بَلَغَتْ عُمْرَ الفِطامْ

فاخرجوا

من قبل أنْ يَنْتَفِضَ النخلُ العراقيُّ

وَيَسْتَلَّ سيوفَ الإنتقامْ

* * *

عصفٌ بهم

حـــاشـــاكَ تنثـــرُ للغـــزاةِ وُرُودا
فَلَقَـدْ خُلِقْتَ كـمـا النخـيلِ عنيـدا
لا زال فـــيكَ من «الحـــسينِ» بَقَـــيَّـــةٌ
تـأْبـى الخـنوعَ وإِنْ تُـبـــــــاحَ وريـدا
وَمُكَبِّـــــرون يَـرونَ في وَثَبـــــاتهِـمِ
باسمِ الحنيفِ على الغُـزاةِ سـجـودا
ومُـــرابطون يَشِـــدُّهُـم لتـــرابِهِم
مـــا شَـــدَّ لِلكَتِفِ السليمِ زنودا

يا ابنَ الأُباةِ المُرْخِــصينَ نفــوسَــهُمْ
ونفـيـسَـهم – عن عِرْضِـهِمْ – ووليـدا

كُنْ مـــثلَ طينِ الـرافـــدين.. ولا تكنْ
إن أوقَــدوا نارَ الضَـلالِ – حــديدا

سُلَّ الضلـوعَ إذا عُـــــدِمْتَ أَسِنَّةً
وأَقِمْ عليـــهم بالجـــهــادِ حـــدودا

واكْنسْ بمَجـرفَـةِ الرصـاص قـمـامـةً
بَشَـــرِيَّةً لا تســـتـــحقُّ وجـــودا

شَطْباً لها من لَوْح طينِكَ ... حَسْبُـها
أنْ شَــرَّعَتْ يومَ احــتـلالِكَ عــيــدا

المُفْـــــتَـــــرون على الإلـه بِسَنِّـهِـمْ

فـتـوىً تُنيبُ عن الجـهـادِ قُـعـودا

الناقـــصـــونَ مـــروءةً وعـــروبةً

الـكـاملـونَ نـذالـةً وجـــــحـــــودا

رقـصـــوا على قَـرْعِ الطبـول كـأنَّهم

خُـلِـقـــوا لـطبلِ الأجـنبيِّ قـــرودا

ظَنّوا الكرامـةَ منصـبـاً فـاسْـتَـرْخـصـوا

كِـبَـراً فكانوا للغـزاةِ عَـبـيـدا

مَـــدُّوا لأحـــذيةِ الجُناةِ رؤوسَــــهـمْ

جـســراً.. ومــدُّوا للأَكُفّ خــدودا

أولاءِ شَـــرٌّ فـــاضْـــرِبَنَّ جـــذورَهُ

إنْ شـئتَ أمـراً للعـبـادِ حـمـيـدا

تَخَـــذوا من الدولارِ ربّاً واشـــتـــروا

بالدين دُنيـــاً والضـــمـيـرِ نقــودا

وإذا تفَـــحَّـــصْتَ السنين وَجَـــدْتَهُمْ

كـــانوا لطاغــيـــةِ العـــراقِ جنودا

خَسِيءَ الغـزاةُ.. فـمـا العـراقُ بعـاقِـرٍ

عَـــقُمَ الزمـــانُ ومـــا يزال ولُودا

مـــرَّ الغُـــزاةُ به فــخَـضَّـبَـــهُمْ دمـــاً

وأذَلَّ رايـاتٍ لـهـم وحـــــــشـــــــودا

بالأمسِ زانَ فَمَ العـصـور «رشـيـدُهُ»

وغـداً سـينجبُ للرشـيـدِ حـفـيـدا

يا مُـرْخِـصـاً لِغَـدِ العـقـيـدةِ روحَـهُ

يومَ اللقـاءِ وطارفـاً وَتَليـدا

إنْ لم تكن ناراً يُهـابُ لهـيـبُـهـا

فَلنار مَـوقِـدهِم غَـدَوْتَ وقـودا

فـاكـفُـرْ بتـحـريرٍ يُذِلُّ عـروبةً

وَيُعِـزُّ «بيت خطيـئـةٍ» ويهـودا

أَمُـحَـرِّرونَ ؟ إذنْ عـلام مـدائنُ

دُكَّتْ وجـمعُ القـانتينَ أُبيـدا؟

جَــهِّــزْ لهم يا ابنَ العــراقِ جَــهَنَّمــاً

أرضــــيَّـــةً.. وأقِمْ لهم أُخْـــــدودا

وأعِــدْ لهم غَــضَبَ الحليمِ يســـومُـــهُ

ذُلاًّ – غــــريبُ طامعُ – ووَعــــيـــدا

قـد أَوْجَبَ اللهُ القـصــاصَ .. كـفى بهِ

حَكَمــاً.. وبالدمِ والخــرابِ شــهــودا

فَــتْــواكَ؟ خُــذْها من كـتــابِكَ بعـدمــا

جــــعلوا بيـــوتَ الآمنينَ لحـــودا

مــا دام أنَّ الموتَ حَــتْــمُكَ فــاقْــتَــحِمْ

مــيــدانَهُ حــتى تقــومَ شَــهــيــدا

لا تَطْمَـــئِنَّ الى الوعـــودِ فـــإِنَّهـــا

خَـــدَرٌ يُزيدُ الراقـــدينَ رقـــودا

عــصــفــاً بهِ حــتى يثــوبَ لرشــدهِ

مُـتَـجـبِّـرٌ سـام الشـعـوبَ قـيـودا

فُــرَصُ الخلودِ كــثــيــرةٌ .. وأَعــزُّها

أنْ تلتــقي وجــهَ الكريمِ ســعــيــدا

واللهِ مــــا وطأ الغــــزاةُ تُرابَنا

لو أننا نَتَــهَــجَّــدُ «التلمــودا»

* * *

أصل الداء

أربعةً كُنّا مُصابينَ بِداءٍ

أَعْجَزَ الطبيبَ والعطّارَ في مدينةٍ

جميعُ أَهليها يُعانونَ من التعاسَةْ

وَمَرَّتِ الأيامُ

حتى حَلَّ في البلدةِ شيخٌ طاعنٌ

مِهْنَتُهُ الفِراسَةْ

زُرْناهُ نَسْتَفْهِمُ عن أمراضِنا

بادَرَني بقولهِ: من أيِّ شيءٍ تشتكي؟

قلتُ: من الضَبابِ في بَصيرتي

ومن شعورٍ غامضٍ

أَفْقَدَني الوقارَ والكِياسَهْ

فتارةً أشعرُ أَنَّ بلدتي مئذنةٌ

تَرشُّنا بالنورِ والأَريجِ

حتى تستحيلَ جَنَّةً أرضيةً...

وتارةً أَخالُها إِذاعةً

تنهى عن المعروفِ..

أو تأمرُ بالمنكرِ

حتى تستحيلَ حانةً ومخدعاً لساسَهْ

فلم أَعُدْ أُمَيِّزُ العُهرَ من القداسَهْ

* *

أشار للثاني: وأنتَ؟ أَيَّ شيءٍ تشتكي؟

أجابَهُ: من عَدَمِ النسيانِ..

من علائمِ انتكاسَهْ

بَدَتْ على وجهِ غَدي...

فَعُمْدَةُ البلدةِ – قبل أَنْ يكونَ عُمْدَةً –

كان بَشوشاً .. وَتَقِيّاً..

يبدأُ الحديثَ بالذِكْرِ

ولا يرفعُ حينما يسيرُ راسَهْ

لكنه منذ تولى منصبَ العُمْدَةِ

صار كاسراً

مثلَ كلابِ الصَّيْدِ والحِراسَهْ

* *

والتَفَتَ الشيخ الى ثالثِنا

وكان لا زال على مقاعدِ الدراسَهْ:

وأنتَ؟ مِمَّ تشتكي؟

أجابَهُ: أشعرُ حين أفتح الكتابَ

أَنَّ مدفعاً يطلعُ من بين السطورِ

فاتحاً شدقيهِ ليْ

فأستحيل أرنباً يَبحث في الصفِ عن الكِناسِ...

تغدو لغتي مكنسةً...

ودفتري حاويةً

وكلُّ ما حفظتُهُ كُناسَهْ [1]

وأشتكي من صَدَأٍ

طال مرايا الفكرِ في عالمِنا

فلستُ أدري:

مَنْ بنا البائعُ والمُباعُ

في «عولمةِ» النخاسَهْ؟

* *

وقالتِ الرابعةُ «العانسُ»:

أشكو هاجسَ الأَرْمَلَةِ الثكلى

فَهَلْ من بلسمٍ يُوقِفُ زَحْفَ العمرِ

ريثما يَمُرُّ عابراً شواطىءَ البلدةِ

حُوْتُ الحربِ...

او توقِفُ دَوَّرانَها طاحونة السياسَهْ؟

....

....

....

فأَطْرَقَ الشيخ مَلِيّاً...

ثم قال جازماً:

أمراضُكم جميعُها مصدرُها:

«جرثومةُ الكرسيِّ» في «مُسْتَنْقَعِ الرئاسَهْ»!

* *

(١) الكناس: بالكاف المكسورة: بيت الظبي، الارنب...
الكُناس» بالكاف المضمومة: الزبالة
والمقطع بمجمله، اشارة الى عسكرة الكثير من المناهج الدراسية في ظل النظام العراقي السابق.

لا تسأليه الصبر

لا تســـأليـــهِ الصَــبْــرَ لو جَــزعـــا
مما رأى ... بغــدادُ ... أو سَــمَــعــا
فَـــــــرْدٌ ولـكـن بـين أَضْـلُـعِــــــه
وطنٌ وشــعبُ يخــفــقــانِ مــعــا
صــــــادٍ يُبَلِّلُ بـاللظى شــــفـــــةً
وَيَصـدُّ عن مُــسْــتَــعْــذَبٍ نَبَــعــا
أَنِفَ انتــــــهـــــالَ الراحِ لا بَـطَـراً
أو خَــــــوْفَ مُـلْـتَـصٍّ ولا وَرَعـــــا [1]
لـكـنـه طَـبْـعُ تَـلَـبَّـــــــــسَـــــــهُ
والمرءُ في حَـــاليْـــهِ مـــا طُبِـــعـــا [2]

وبهِ حَياءٌ من مروءَتِهِ

لو راوَدَتْهُ النفسُ فاتَّبَعا

فَرَشَتْ له الأوهامُ أَبْسِطَةً

واسْتَنْبَتَتْ صحراءَهُ فَرَعى

صاحٍ ولكنْ صحوَ مَخْتَبِلٍ

لا فَرْقَ إنْ أَسرى وإنْ هَجَعا

غافٍ يُدَثِّرُهُ حريرُ مُنىً

فَتَوَهَّمَ التابوتَ مُنْتَجَعا

وَسِعَتْ أمانيهِ الخيالَ فما

أَبْقَتْ له الأحلامُ مُتَّسَعا

مَلَكَتْ فـــــــؤاداً منه اَسِـــــــرَةُ

فَسَعَتْ إليه بِقَيْدِها... وَسَعى

شاخَ المشــوق بِغُـرْبَتَـيْـهِ وإذْ

جَلَسا لمائدةِ الهوى يَفَـعـا[3]

عِـقْـدانِ إلاّ بضعةُ وَهُمـا

يَتَرَقّبانِ الوصلَ ... واجْتَمَعا

خَلَعَتْ عليـه لذائذاً فـأبى

غـيَـر العَفافِ لِحُبِّـهِ خُلَعا[4]

صـــاغَتْ له من طينِهـا رِئَةً

ولهـا أقـامَ القلبَ مُـرْتَبَـعـا

وَتَراقَـــصَتْ أعـــشـــابُ مـــقلتِـــه
فَـــرَحـــاً بنجمٍ مَـــسَـــرَّةٍ سَطَعـــا
فَـــتَناجَـــيـــا لحناً وقـــافـــيـــةً
وَتَصـــاهَرا نَبْـــضـــاً وَمُـــصْطَرَعـــا
وَتَعـــاتَبـــا كلٌّ يرى سَـــبَـــبـــاً
لِيُـــريقَ كـــأسـاً بَعْـــدُ مـــا تُرِعـــا
طَمَـــعَتْ بِصَـــمْتٍ من يَراعَـــتِـــه
وبصـــرخـــةٍ من صَـــخْـــرِها طَمَـــعـــا
فَـــتَـــشـــاجـــرا: دَوْحـــاً وفـــاخِـــتَـــةً
وَتخـــاصَـــمـــا: ثَدْياً وَمُـــرْتَضِـــعـــا

كَظَمــا على غَــيْظَيْــهــمــا فَــوَشى
بهــمــا اخْــتِــلاجُ الجــفنِ إذْ دَمَــعـا

* *

حَــيْــرانُ بين اثنينِ خَــيــرُهُمــا
شَــرٌّ يُحــيقُ بهِ إذا قَنَعــا
فــإذا أقــامَ فَــقَــهْــرُ مُــغْــتَــصِبٍ
وَسَـيَـسْـتَـبيـهِ الشـوقُ لو رَجَـعـا
خَــبَــرَ العــذابَ جــمــيــعَــهُ فــرأى
أَنَّ الأَشَــدَّ: مكابرٌ خَنَعــا
غَضَّ الفــؤادُ النَبْضَ عن تَرَفٍ
مُــسْــتَــعْــبِدٍ فـاخْـتـارَ أَنْ يَدَعـا

لا تَسْـــأَليـــه الصَـــبـــر لو جَـــزَعـــا

مـــا دام فـــأْسُ الذُلِّ قـــد وَقَـــعـــا

زارَ الديارَ ضُـــــحىً فـــــأَرْعَـــبَـــــهُ

أَنَّ الفـــرات وَنَـخْلَهُ افْـــتُـــرِعـــا (٥)

فَـــرَكَتْ أَصـــابعُ صَـــحْـــوِهِ مُـــقَـــلاً

سكرَتْ بخـــمـــرِ الحلمِ فـانْفَـجَـعـا

أَلفـى الأَحِـــــبَّــــةَ بعـــــد عـــــودتِهِ

رِمَـــمـــاً وَرِفْـقَـةَ أَمْـسِـهِ شِـيَـعـا

عـــــاشَ المواجِعَ منذُ فـــــارَقَـــــهُمْ

وازْدادَ بعـــدَ لقـــائِهِمْ وَجَـــعـــا

غَــفَلوا فَــعــاجَلَهُمْ بفــاجِــعَــةٍ
مُــتَــرَبّصٌ لم يَدَّخِــرْ خُــدَعــا
شَــبِعَ الردى والقَــهْــرُ من دمــهم
و«مُــحَــرري» المزعــومُ مــا شَــبِعــا
أَسَــفي على بغــدادَ ... كــيف غَــدَتْ
ســوقــاً وأَنْجمُ مــجــدِها سِلَعــا؟
قــد كــان يربِطُني بَهَــوْدَجِــهــا
خَــيْطٌ من الآمــالِ ... وانْقَطَعــا
الجــســرُ؟ تَجْــفــوهُ المَهــا ... وإذا
قَــرُبَتْ تَشَظّى وَجْــهُــهــا فَــزَعــا [٦]

أمـــا «الرّصـــافـــةُ» فـــالجلوسُ الى

شطآنِهـــا يَسْـــتَنْفِـــرُ الهَلَعـــا

خـــرســـاءَ تَسْـــتَـــجـــدي الخُطى صِلَةً

والســـامــرينَ الشـــعـــرَ والسَـجَـعـــا

ودخـــانَ «مـــســـقـــوفٍ» بمُـــغْـــتَـــبَقٍ

وغناءَ صَبٍّ مُـــدْنَفٍ ضَـــرَعـــا [٧]

وَدَّعْـــتـــهـــا قَـــسْـــراً فَـــوَدَّعَني

قلبٌ أبى من بَعْـــدِها مُـــتَـــعـــا

حـــــذَّرتُـهـــــا منـي.. وَحَـــــذَّرَنـي

منهـــا هيـــامٌ من دمي رَضَـــعـــا

لكنهـــا تبـــقى رفـــيفَ دمي
إنَّ الهـوى أَبْقـاهُ مـا صَـرَعـا

* *

(١) ملتص: مسترق السمع او النظر
(٢) حاليه: حال السراء وحال الضراء ... اليسر والعسر...
(٣) يفع: صار يافعا
(٤) الخلع: المال، الهدايا، الهبات
(٥) افترع: أُهين
(٦) اشارة الى بيت الشاعر علي بن الجهم:
عيون المها بين الرصافة والجسرِ
جلبن الهوى من حيث ادري ولا أدري
(٧) ضرع: توسَّل واستعطف
و«المسقوف» هو السمك المسقوف، الأكلة الأكثر شعبية وشهرة في ليالي شواطىء دجلة ببغداد

ذعر

مَذْعورةً مَرَّتْ على شُبّاكِ ذاكرتي الطفولَهْ

مذعورةً مرَّتْ طيورُ يفاعَتي..

وحبيبتي مرَّتْ على بُستانِ أحلامي خجولَهْ

والدربُ مرَّ عليَّ مُرْتَبِكاً

ومرَّ النهرُ محتضناً نخيلَهْ

هرباً من الارضِ الذَليلَهْ

وأنا مَرَرْتُ عليَّ.. بِتُّ اثنينِ:

صحراءُ ... وسنبلةٌ عليلَهْ!

وأبي أَطَلَّ عليَّ من أمسي:

نَصَحْتُكَ أَنْ تَكُفَّ عن التحدثِ

باسمِ زنبقةٍ قتيلَهْ

ما دام أَنَّ السُلَّ والطاعونَ

يفْتَرِشانِ بستانَ القبيلَهْ

والآنَ؟

تَلْتَحِفُ الكهولَهْ

حَسَكاً

وتحلم بالحقولِ المستحيلَهْ؟!

ستفيقُ – قال أبي – تفيقُ مُضَرَّجاً نَدَماً

على ما قد هَرَقْتَ بِوَهْمِ فِرْدَوسٍ

يُقيم جنانَهُ نهرُ البطولَهْ

باعَ العراقَ بَنوهُ..

واسْتَلَمَ السماسرةُ العمولَهْ

* *

أُفولٌ ..

مرَّ على نافذتي وغابْ

وجه التي أَوْقَدْتُ في دمائِها

حرائقَ العشقِ

وَطَرَّزْتُ بوردِ شوقِها حدائقَ الشبابْ

غريبةً مثلي كانت...

سألتْ عني

وحين جئتُها بالوَجَعِ الصوفيِّ

استَمْطِرُها العفوَ عن الغيابْ

قال لي الصحابْ:

حين استباح دارَها الأغرابْ

صاحتْ بهم

فعاجَلَتْها زَخَّةٌ من مَطَرِ الحقدِ ...

انحَنَتْ مئذنةٌ

وأَجْهَشَتْ سجّادَةٌ

وانْتَحَبَ المحرابْ

ولم تعد تضيءُ في المدينةِ القِبابْ

لم نَجدِ الثوبَ الذي يَسْتُرُها

فَرَقَّتِ الأرضُ عليها .. وَسَدَّتْها حُضْنَها

وأَلْبَسَتْها بُردةً من طاهرِ الترابْ

وقال آخرونَ

إنها رأتْ سجنَ «ابو غريب»

فَجَفَّ وَجْهُها...

حاوَلَتِ اجتيازَ سورِ الوطنِ المَسْبِيِّ فجراً

غيرُ أَنَّ البشرَ الذئابْ

كانوا أمام البابْ

* *

مرَّ على بصيرتي وغابْ

أمسي...

يجرُّ خلفَهُ غدي وتابوتاً من الترابْ

سأَلْتُهُ من قبل أَنْ يغيبَ:

يا مُفارقي ... أين تريدُ؟

قال في حشرجةٍ:

للبحثِ عن مقبرةٍ

أدفنُ فيها أُمَّةً أنابَتِ الأغرابْ

عنها ...

فَحُقَّ أَنْ تعيشَ الذُلَّ والعذابْ

* *

بردٍ على بردِ

«الى وطنٍ من لحم ودم.. وحـبـيـبـةٍ من مـاء وضـوء وتراب»

فَــتَّــشْتُ في قلبي فلمْ أجِــدِ
إلاّكِ قنـديـلاً يُضـيءُ غَــدي
وَفَــحَــصْتُ ذاكــرتي... أَفــاتنةٌ
أُخــرى يُنادِمُ طَيْــفَــهــا خَلَدي؟
وَنَخَلْتُ حنجــرتي لعلَّ بهــا
بعض الصَّـدى من «هِنْدَ» أو «دَعَـدِ»
فَــوَجَــدْتُهــا تشــدو لِيُــثْــمِلَهــا
مــا فــيكِ من طيبٍ ومن غَــيَــدِ [1]

وَوَجَـــدْتُني من دونِهـــا شَـــفَـــةً

خـــرســـاءَ .. أو جـــفناً الى رَمَـــدِ

فكأنَّمـــا الأرحـــامُ قـــد عَـــقُـــمَتْ

مِنْ بعـــــــد مَنْ أهوى فلـم تَلِدِ

مـــا أنتِ؟ قـــوليـــهـــا عـــلانيـــةً..

هلاّ أَجَـــبْتِ ســـؤالَ مُـــفْـــتَـــأَدِ؟ [٢]

أنســـاكِ؟ حـــاشى.. عـــهـــدَ مُـــحْـــتَنِفٍ

أهواكِ مـــا عَـــمَّـــرْتُ من أَمَـــدِ [٣]

تبـــقـينَ مـــا ظَلَّ الفـــؤادُ على

دينِ العظيمِ الواحـــدِ الأحـــدِ

جَـــسَـــدي؟ رَمَـــيْتُ بهِ الى جَـــدَثٍ

يمشـي مـعي... لا تحـذري جَـسَـدي

فـــأنا بَخـــورُكِ يا مُـــبَـــشِّـــرَةً

بِعَـــفـــافِ مـــسنودٍ إلى عَـــمَـــدِ

وأنا صَـداكِ ... كَـتَـمْتُ حَـشْـرَجَـتي

وَغَـــدَوْتُ رَجْعَ صُـــداحكِ الغَـــردِ

شُـلَّتْ إذا نَـسَـــــجَتْ لفــــاتنةٍ

أُخـــرى مناديلَ الـهـــيـــامِ يَدي

وَتَهَـشَّـــمَتْ مـــراَةُ مُـــقْلَتِـــهـــا

عَـــيْني إذا تُغْـــوى بِمُنْتَـــهِـــدِ [٤]

مـــا حُـــجَّـــتي يومَ الحـــســـابِ إذا

شَـــهَـدَتْ عليَّ بِنَكْثِـــهـا عُــهُــدي؟

أَوَلَـــسْـــتُ مـــن أدى يمـــينَ هُـــدىً

جَـــهْـراً وأَشْـــهَـدَ عِـزَّةَ الصَّـمَـدِ؟

أَنْ لا يُبـــايِعَ غَـــيْـــرَ مُـــقْطِمِـــه

وَسَـــرابِهِ وِرْداً لِثَـــغْـــرِ صَـــدي؟

ولقـــــد ظَـمِـــــئْتُ وكنتُ في غُـــــدُرٍ

فـــشـــربتُ نيـــراني ... ولم أَرِدِ [٥]

قَنَعَتْ بِصـــابِكِ - غـــيـــرَ آســـفـــةٍ -

شَـفَـتي .. فـيـا صـابَ الحـبـيبِ زِدِ [٦]

لكِ فـي فــــــمي كــــــأسُ ومـــــــائـدةُ

لا تَبْـــــخَلَنَّ بِدَوْرَقٍ .. فَــــــجُــــــدِ

وَرَضَـــيْتُ من بحـــرٍ صَــبَــوْتُ الى

مـــــرجـــانِهِ الـضَـــوئيِّ بـالزَّبَدِ!!

مــــا حــــيلتي؟ فَلَقَــــدْ خُلِقْتُ إلى

ســـوطِ الهـــمـــومِ وَمِــدْيَةِ النكدِ

للمـــوحـــشـــاتِ أكنتُ مـــغـــتـــرباً

دامـي الخطى... أو كنتُ في بَلَدي

للمـــوتِ يجـــفـــوني فـــأَتْبَـــعُـــهُ

أَمَــــلاً بِعَطْفِكِ يومَ مُلْتَــــحَــــدي (٧)

أنا «قَـيْـسُكِ» المطرودُ ... خـيـمـتُـهُ

بـينَ الخـــيـــامِ يتـــيـــمـــةُ الوَتَدِ!

يا حُــزْنَ مــاضـي العـــمـــرِ يا أَبَتي

يا صَــبْــرَ باقي العـــمـــرِ يا وَلَدي

رِفْـــقـــاً بِعُكّازي فَـــقَـــدْ وَهُنَتْ

ســـاقي.. وأحـــداقي بلا مَـــدَد

أَسْـــرَفْتَ في إذلالِهِ عَـــسَـــفـــاً

فــارفقْ بهِ يا حــزنُ واقْــتَــصِــدِ

جِــئْني بهــا صَــحْــواً لِتُــوْقِظَ بيْ

طفلَ المُنى فَـيَـشُـدَّ من عَـضُـدي

عطفـــــاً علـيَّ وطـاعــــــةً ... فَلَكَمْ

نـادى الرَّســـيفُ وليس من أَحَــــدِ

يـا مَـنْ أَسَـــــرْتَ غـــــدي أَغِثْ أمـلـي:

إيـاكَ تُرْخـي – آسـري – صَـفَـدي

سَـيَـضـيـعُ لو أطْلَقْتَ مُـخْـتَـبـلاً

طـارَتْ حَـمـــامَـــتُـــهُ ولم تَـعُــدِ

نَثَــرَتْ عليـــه هديلَهـــا فَـــغــفـــا

طفـــــلاً تُـهَــــدْهِـدُهُ يَدُ الـرَّغَــــدِ

وَمَــضَتْ فــعـــادَ نزيلَ وَحْـشَــتِــه

يمتـــارُ من جـــمـــرٍ ومن كَـــمَـــدِ [٩]

زهـراؤهُ وطـنٌ ومـــــــــئـــــــذنـةٌ

وحـــديقـــةُ قـــدســـيَّـــةُ الرَّفَـــدِ

يَبُسَ الضـــيـــاءُ على نـوافـــذِهِ

أَمّـــــــــــا ظـلامُ دروبـهِ فَـنَـدي

فـــاحْكِمْ عليـــه وثِاقَـــهُ حَـــرَداً

لمـزيـدِ تـرحــــــــالٍ بـلا سَـنَـدِ (١٠)

أنا أنتَ ... حَـــدِّقْ بيْ تَجِـــدْكَ على

شَــفَـتيَّ مكتــوباً .. وفي كَـبِـدي

أنا أنتَ ... فَـــتِّـــشْني تَجِـــدْ بِدَمي

مـــا فـــيكَ من جَـــمْـــرٍ ومن بَرَدِ

تَجِـدِ «الفـراتَ» يسـيلُ من مُـقَلي

دمـعـاً فـأشْـرَبُهُ على جَلَدِ

تَجِـدِ الخـرابَ «البـابليَّ» على

وجـهي وَذُعْـرَ العـاشقِ «الأَكـدي»

أنا «بابلُ» .. وأَنا حـرائقُـهـا

ورمـادُها... وشـريدُها الأبدي

و«السـومـريُّ» الطفلُ أَنْسِجُ منْ

عُـشْبِ الضـفـافِ وَزَهْرِها بُرَدي

وأنا «الرصـافـةُ» باتَ يوحِـشُـهـا

جـسـرُ الهـوى حـيث الزمـانُ رَدِي

وأنا «السماوةُ» حيثَ نَخْلَتُها

سَعَفُ وَعِذْقُ غيرُ مُنْتَضِدِ [11]

والمُسْتجيرُ بِبِئْرِ غُرْبَتِهِ

هلاّ مَدَدْتِ إليهِ من مَسَدِ؟ [12]

إنْ قدْ عُدِمْتِ الحبلَ يُنْقِذُهُ

مُدِّي له طوقاً من الرَّشَدِ

هل تسألين الآن كيف أنا؟

أنا في الهوى: بَدَدُ على بَدَدِ!

(١) الغَيَد: اسم بمعنى النعومة والغنج والرقة

(٢) المفتأد: المصاب بفؤاده

(٣) المحتنف: المتمسك بالاسلام

(٤) المنتهد: الناهد، المنتصب الصدر

(٥) غُدُر: جمع غدير. لم ارد: لم اشرب

(٦) الصاب: العلقم

(٧) يوم الملتحد: يوم الدفن

(٨) الرسيف: السجين المقيد

(٩) يمتار: يتزود

(١٠) حرداً: منعاً

(١١) البيت تضمين غير مباشر للاغنية الشعبية العراقية
«نخل السماوهْ يكول طرتني سمرَهْ/
سَعَفْ وكربْ ظليتْ ما بيَّ تمرهْ»

(١٢) المسد: الحبل القوي المفتول من الليف او القنب.

في وطن النخيل ..

في وطنِ النخيلْ

الناسُ صنفانِ ... فأمّا قاتلُ مُسْتَأْجَرُ

او

مُؤْجَرُ قتيلْ (*)

* *

في وطنِ النخيلْ

يحقُّ للقائدِ – باسمِ الأمنِ والسيادَهْ

أَنْ يمنعَ العِبادَهْ

إلاّ إذا تَعَهَّدَ «الإمامُ» أَنْ يختتمَ الصلاةَ

بالحديثِ عن مكارمِ القيادَهْ!

* *

* مؤجر: المكافأ بالأجر والثواب

في وطنِ النخيلْ

يحقٌّ للمحتلِّ أَنْ يُصادِرَ الإرادَهْ

ما دام أَنَّ التابعَ الذليلْ

ينوبُ عن كل الملايين التي تبحثُ

عن خلاصها من عَسَفِ الدخيلْ

* *

في وطنِ النخيلْ

يحقٌّ للخنزيرِ أَنْ يَحْصُدَ بالرصاصِ

عشبَ اللهِ في المحرابْ

يحقٌّ للمدفعِ أَنْ يطرقَ كلَّ بابْ

ما دام أَنَّ العصرَ عصرُ غابْ

ما دامَ أنَّ «صاحب السعادَهْ»

الناطقَ الرسميَّ باسمِ «مسلخِ التحريرِ»

والقائمَ بالأعمالِ في «طاحونةِ الإبادَهْ»

يُريدُ للقانتِ أَنْ يَسْتَبْدِلَ:

الخنوعَ بالخشوعِ

والمِزْمارَ بالشهادَهْ!

* *

يا آسري

يـا آســـــــــري أَحْـكِـمْ علـيَّ وِثـاقـي
ســـــأَضـــيعُ لو بادَرْتَ في إطلاقي
خُلِقَتْ لبـحـرِكَ يا جـمـيلُ سـفـينتي
فـاعْصِفْ بها.. لا خـوفَ من إغـراقي
وَخُـلِـقْتَ قـنـديـلاً يَـرشُّ بـضـــــــوئِـه
لـيــلاً عَـصِـيَّ الفـجـر في أَعـمـاقي
لا تـخْـشَ مـن ريـحٍ علـيَّ ومـــــوجــــةٍ
فـالخـوفُ كلُّ الخـوفِ من أشــواقي

شَـــفَعَ الجنونُ لخـــافـــقي أَنْ لا يرى

إِلاّكَ منقـــوشـــاً على أحـــداقي

إنْ قَـــدْ تَهَـــيَّـــمني هواكَ وَصَـــدَّني

عـن بـرد مـــــــائـدةٍ ودفـءِ عنـاقِ

فـــلأَنَّ لي طبعَ النخـــيلِ تَشَـــبُّـــثـــاً

ولأَنَّ صَـــوْنَ العـــهـدِ من أخـــلاقي

ولأننـا ليـــــلانِ يَـذْبَحُـنا مـــــعــــاً

عَطَشُ لفـــجـــرٍ ضـــاحكِ الآفـــاقِ

ولأنـنـا نجـــــفــــو ونعـــــرفُ أننا

لا بُدَّ مُلْتَـــقِـــيـــانِ بعـــدَ فـــراقِ

ولأننـا مُـــــتَـــمـــــاثـلانِ غَــــرابَةً

مُـتَـبـايـنانِ كـمـا حـروف طِبـاقِ

تَقْـــتـــاتُ زُقّـــومـــاً وأنتَ بيـــادرُ

حُــــــبلـى بـأَصْـنـافٍ مـن الأرزاقِ

وأفـــرٌّ من نبعٍ لأَحْـــســـوَ أَدْمُـــعـــاً

مُـزِجَتْ بِقَـيْحِ الســهـدِ والإخْـفـاقِ

ولأننـا في الحـــــالتينِ خُــــرافَـــــةٌ

تُدعى بقـامـوسِ العـذابِ: «عـراقي»

خَطفــوكَ مني ضــحكةً وَخَطَفْـتُـهـا

شَـــجَناً أُنادِمُ كـــأسَـــهُ وأُســـاقي

وَتَمَنَّعَتْ مُــــقَلـي علـيَّ فلـم تَـجُـــــدْ

إلاّ بطيفِ ســــخـــينِكَ المِهـــراقِ

عَــتَــبي عليَّ – ولا عليكَ مَــلامَــةٌ –

كـيفَ ارتضـيتُ النأْيَ بعـد تلاقي؟

أَدْريـهِ جَـــــلاّداً يُذِلُّ رجــــــولتـي

ويُشـيـص بسـتـاني وَيُوْهِـنُ سـاقي[١]

أدْريـهِ لا يُبْــقي ببـســتــانِ الهــوى

مـن ظِـلٍّ أفـنـانٍ ومـن أَعْـــــــذاقِ

يا اَسِـــري والعـــشق فـي غَلـوائه

ضَـــعْفُ يُلينُ تَجَلُّدَ العــشّـــاقِ

يا آسري والمرءُ في غاياتِهِ

ابريقُ سَمٍّ او نفيسُ حُقاقِ [٢]

يا آسري والخائنون بلادَهم

موتى وإنْ نبضوا لُمىً وَتَراقي [٣]

يا آسري والدّاءُ أوّلُ أمرِهِ

وَهَنٌ وآخِرُهُ تَمامُ فُواقِ [٤]

ولربما فَزِعَتْ لهمسِ رَبابَةٍ

نفسٌ وقد طَرِبَتْ لصرخةِ غاقِ [٥]

يا آسري والمستحيلُ كِنايَةٌ

للطهرِ يُغْويهِ مجونُ مساقِ [٦]

يا آســري والعـاشـقـون جـمـيـعُـهم

مُـتَـشـابهـونَ بميـسمِ الإرهاقِ

يتـقـاتلونَ مع الصـروفِ رمـاحُـهُم

أوجـاعُ أضـلاعٍ وَسُـهْـدُ مـآقي

ولربما اتَخـذوا سـخينَ دمـوعِـهِم

لجـراحِـهِمْ ضـرباً من التِـرياقِ[٧]

يا آســري والمُثْكلون بأَرْضِـهِم

كـالمُثكلاتِ بـ «زينبٍ» و«بُراقِ»[٨]

يا آسِـري وذوو القَـرابةِ في الهـوى

أَهْلُ بـرغـمِ تَـعَـدُّدِ الأعـراقِ

فـــاذا نَصَــبْتُ وراء ســـورِكَ خَــيــمــتي
فَلَرَغْــبَــتي في العــشـقِ دونَ نِفـــاقِ
لـم يُنْسِنـي عَـــــهْـــــدَ المودَّةِ والـهــــوى
مـــا كنتُ قـــد لاقَـــيْتُ أو ســـأُلاقي

* *

١) الضمير في «أدريه» يعود الى «النأي»
يشيص: التمر: يفسد. الجفن: يضطرب
٢) حُقاق: جمع حُق : أوعية الطيب
٣) تراقي : جمع ترقوة
٤) فواق: الرمق الأخير، سكرة الموت
٥) غاق: صوت الغراب
٦) المساق: الدرب – الطريق
٧) الترياق: الدواء
٨) «زينب» و«براق» طفلان عراقيان من بين آلاف الاطفال العراقيين الذين حصدتهم قنابل «التحرير» الاميركية

جلالة الدولار

جَلالةُ الدولارْ

حاكمُنا الجديدُ .. ظِلُّ اللهِ فوقَ الأرضِ..

مبعوثُ إلهِ الحربِ والتحريرِ والبناءِ والإعمارْ

له يُقامُ الذِكْرُ...

تُنْحَرُ القرابينُ...

وَتُقْرَعُ الطبولُ ...

تُرْفَع الأستارْ

وباسمهِ تكشفُ عن أسرارِها الأسرارْ

وباسمِهِ تمتلىءُ .. الحقولُ بالسنبلِ

أو يُصادَرُ الرغيفُ

فهو صاحبُ العِزَّةِ في المدائنِ المذبوحةِ النهارْ

جلالةُ الدولارْ

منقذُنا ...

والمرشدُ الفقيهُ ... يُفْتي فَيُطاعُ

لا كما كانت فتاوى السيدِ «الدينارْ»

لِحْيَتُهُ الخضراءُ صهوةُ المُضاربينَ

في مصارفِ «الحوارْ»

فَتَسْتَحيلُ جَنَّةُ اللهِ إلى جَهَنَّمِ

وَتسْتَحيلُ النارْ

حديقةً قُدْسِيَّةَ الأَزْهارْ

* *

جلالةُ الدولارْ

في ساعةِ «الحساب» يبقى وحدَهُ

الصانعَ للقرارْ:

«يجمعُ» مَنْ يشاءْ

«يقسمُ» مَنْ يشاءْ

«يَطْرَحُ»

أو «يضربُ» ما يوصي به الأَحبارْ

يمكنُ أنْ ينوبَ عن فضيلةِ القاضي

وعن بنادقِ الثوارْ

العارِضينَ عُدَّةَ النضالِ للإِيجارْ

طَلْعَتُهُ؟

تغوي على ذبحٍ شقيقٍ

واجتياحِ جارْ

تُسْتَسْهَلُ الأخطارُ دون وِدِّهِ

ويكبرُ «الصغارْ»

تحت سَنا بَريقِهِ المُعارْ

* *

سماحةُ الدولارْ

صار إماماً ... إنما

يَؤُمَّ كلَّ تابعي بريقِهِ

نحو الخَنا والعارْ

* *

عدالةُ الدولارْ

تُطالبُ المذبوحَ

أَنْ يُقَدِّمَ الفِدْيَةَ للجزارْ!

* *

يا صابراً عقدين إلاّ بضعة

أَلْقَــيْتُ بين أَحِــبَّــتي مــــرســـــاتي
فــالانَ تَبْـدَأُ – يا حــيــاةُ – حَـيــاتي
الان أَبْتَـــدِيءُ الصَّـــبـــا ولو انني
جـاوَزْتُ «خـمـسـيناً» من السَنَواتِ
الان أَخْـــتَـــتِمُ البكاءَ بضـــحكةٍ
تمتـــدُّ من قلبي إلى حَـــدَقـــاتي
الان يَنْتَـــقِمُ الحـــبـــورُ من الأَسـى
ومن اصْطِبـاري ظامـئِـاً كـاســاتي

أنا في «السَماوة» ... لنْ أُكَذِّبَ مُقلتي

فالنهرُ و«الجسرُ الحديدُ» هُداتي [1]

وهنا - جِوارَ الجسرِ - كانت قَلْعَةٌ

حَجَريَّةٌ مكشوفةُ الحُجُراتِ

هذا هو «السجنُ القديمُ» ... وَخَلْفَهُ

جِهَةَ «الرُمَيْثَةِ» ساحُ إعْداماتِ

وهناكَ بيتُ أبي ... ولكن لم يَعُدْ

لأبي به ظِلٌّ على الشُرُفاتِ

لا يُخْطِىءُ القلبُ الترابَ ... شَمَمْتُهُ

فَتَعَطَّرتْ بطيوبِهِ نَبَضاتي

وهناكَ بُســـتـــانُ «الإمـــامي» والذي

عَــشِــقَتْ نعــومــةَ طينِهِ خَطَواتي

الــنــخــلُ نــفــسُ الــنــخــلِ ... إلاّ أنــه

مُــسْــتَــوْحَشُ الأَعْــذاقِ والسَــعْــفـاتِ

لكأنَّ سَــعْفَ النخلِ حَــبْلُ مــشــيــمــةٍ

شُــــــدَّتْ به روحـي لطـينِ فــــــراتِ

* *

أنا في «الســمــاوةِ» ... لا أشكُّ بما أرى

فَلَقَــدْ رأيتُ بأَهلهــا قَــسَــمــاتي

ســأصــيحُ بالقلبِ الذليلِ: كــفى الضنى

فــاغلقْ كــتــابَ الحــزنِ والنَكَبــاتِ

وأنامُ مــــقـــروراً يُوَسِّـــدني الـهـــوى

ريشَ الأمـــــاني بـعـــــد طـولِ أَناةِ

مَــرَّتْ عليَّ من السنينَ عِــجـافُــهـا

ومن الرياحِ الغــاضــبــاتِ عَــواتي

أَلْقَتْ بأَشْــرِعـــتي الى حــيثُ الندى

جـــــمـــرٌ يُمَـــرِّغُ باللظى زهـراتـي

يشكو لســاني من جَــفـــافِ بَيــانِهِ

في الغُــرْبَتَينِ فــأَصْــحَـرَتْ غــاباتي

وَحْــشِــيَّــةُ تلك الهـمـومُ ... وديعُــهـا

أقـــــسى على قلبي مـن الطَعَناتِ

أنا يا عـــراقُ حكايةٌ شـــرقـــيَّـــةٌ
خُطَّتْ على رَمْلٍ بِسَنِّ حَـــصـــاةِ
غَـرَّبْتُ في أَقْـصى الديارِ فَـشَـرَّقَتْ
روحي .. وَحَـسْـبُكَ مُنْتـهى غـاياتي
مـولايَ! كم عـصف الزمـانُ بِمَـرْكَـبي
فَـأَغَظْتُ مُـزْبِدَ مـوجِـهِ بِثَـبـاتي
نـاطَحْـتُـهُ - وأنا الكسـيحُ - فلم يَنَلْ
من حَـــزْمِ إيماني وَعَـــزْمِ قَناتي
واسَـيْتُ حـرمـاني بكوني حَـبَّـةً
عـــربيـــةً من بَيْـــدَرِ المأسـاةِ

واللهِ مـــا خِلْتُ الحـــيـــاةَ جَـــديرةً

بـالـعــــــــيـشِ إلاّ هـذه الـلـحـظـاتِ

واسْــتَــيْــقَظَ الزمن الجــمــيل بمقلتي

من بعــدِ أجــيــالٍ بِكَهْفِ سُــبـاتِ

الله! مــــا أحلى الـعــــراقَ وإنْ بَدا

مُــتَــقَــرِّحَ الأنـهـــارِ والواحـــاتِ

ســـامَـــحْتُ جـــلاّدي وكنتُ ظَنَنْتُني

ســــــــأنالُ منـه بـألـفِ ألـفِ أداةِ

وَطَرَدْتُ من قلبي الضَــغــينَةَ مــثلمــا

طَرَدَ الضــيــاءُ جَــحــافلَ الظُلُمــاتِ

فَــــوَدَدْتُ لو أني غَـــرَسْتُ أضـــــالعي

شَـــــجَـــراً أُفيءُ بهِ دروبَ حُـــفــــاةِ

جَـــهِّــزْ ليــومي في رحــابِكَ فُــسْــحَــةً

وَحُـــفَـــيْـــرَةً لِغـــدي تَضمُّ رُفــــاتي

«أُفــيَّشْ يا ريحَــةْ هليْ وطيــبَــةْ هليْ

وكـــهـوةْ هلي وشـوفَـةْ هلي لعـلاتي» (٢)

* *

عـاتَبْـتُـهُ – أعني الفـؤادَ – فَـضَـحْـتَني

فـاهْـدَأْ ... أخـافُ عليكَ من زَفَـراتي

هَـوِّنْ عليكَ ... فَــقَــدْ تُعــابُ كـــهـــولـةٌ

تَرْفـو ثيــابَ الصَّـبْــرِ بالعَـبَــراتِ

أمْ أنتَ أَهْرَقْتَ الوقــارَ جـــمـــيـــعَـــهُ

فَـــعَــــدَوْتَ عَـــدْوَ طريدةٍ بِفَـــلاةِ؟

هَوِّنْ عليكَ فــــإنَّ حَظَّكَ في الهـــوى

حَظُّ «ابنِ عَـذْرَةَ» في هُيـامِ «مَــهـاةِ»

يا صـــابراً عِــقْــدَينِ إلاّ بضـــعـــةً

عن خـــبـــز تنّورٍ وكـــأس فُـــراتِ

ليـــلاكَ في حُــضْنِ الغــريبِ يَشُــدُّها

لســـريره حَــبْلٌ من «السُـــرُفــاتِ» (٣)

تبكي وَتَسْـــتَـــبكي ولكن لا فَـــتىً

فَـيَـفكَّ أَسْـرَ سـبـيـئـةٍ مُـدْمـاةِ

يا صـــابراً عِـــقْـــدَينِ إلاّ بضـــعـــةً
«ليلى» مُكَبَّلَةٌ بِقَـــيْـــدِ «غُـــزاةِ»
ليـــلاك مـــا خـــانَتْ هـواكَ وإنما
«هُبَلُ الجــــديدُ» بِزيٍّ «دولاراتِ»
إنَّ «المريضـــةَ» في العـــراقِ عـــراقَـــةُ
أمّـا الطبـيبُ فَمِبْـضَعُ الشَـهَواتِ

* *

وَطَرَقْتُ باباً لم تُغـــادِرْ خـــاطري
فكأنَّهـــا نُقِـــشَتْ على حَـــدَقـــاتي
مَنْ؟ فـــارْتَبكْتُ .. فـــقلتُ: حَيٌّ مَـــيِّتُ
عـــاشَ الجـــحـــيمَ فـــتـــاقَ للجناتِ

وَصَـــرَخْتُ كـــالملدوغِ أَدْرَكَـــهُ الرَّدى

مـــتـــوسِّـــلاً من بلسمٍ رَشَـــفَـــاتِ:

أينَ العـجـوزُ؟ فـمـا انْتَبَـهْتُ الى أخي

يبكي ... ولا الشَـهقـاتِ من أخـواتي

عـانَقْـتُـهـا ... وَغَـسَلْتُ باطنَ كـفِّـهـا

وجـــبـــينَهـــا بالدمعِ والقُـــبُـــلاتِ

وَحَـضَنْتُــهـا حَـضْنَ الغـريقِ يَشُــدُّهُ

رَمَقٌ مـن الدنـيـــا لطوقِ نجـــاةِ

قَـــبَّلْتُ حـــتى نَعْلَهـــا ... وكــأنني

قَـــــبَّلْتُ من وردِ المنـى باقـــــاتِ

وَمَسَحْتُ بالأجفانِ منها أَدْمعاً
وأنَابَتِ الآهاتُ عن كلماتي
وسألتُها عَفْوَ الأمومةِ عن فتىً
عَبَثَتْ به الأيامُ بَعْدَ شَتاتِ
واسْتُكْمِلَ الحفلُ الفقيرُ بِزَخَّةٍ
مزحومةٍ بـ «هَلاهلِ» الجاراتِ

* *

عَتَبَتْ عليَّ وقد غَفَوْتُ سُوَيْعَةً
عَيْني .. وخاصَمَ جَفْنُها خَطَراتي:
قُمْ بيْ نَطوفُ على الأَزِقَّةِ كلِّها
نَتَبادَلُ الآهاتِ بالآهاتِ

طاوَعْـتُـهـا ... وَمَـشَـيْتُ يُثْـقِلُ خطوتي

صَـخْـرُ السنينَ ووحـشـةُ الطُرُقـاتِ

الله! مـا أحلى «السـمـاوةَ» ... ليلُهـا

باكي النَداوةِ ضـاحكُ النَجْـمـاتِ

الله! ما أحلى السماوةَ ... صُبْحُها

صـافٍ صـفـاءَ الضـوءِ في المرآةِ

فَـتّـانَةٌ ... حـتى نِبـاحُ كـلابِهـا

خلفَ القُـرى يُغـوي ثُغـاءَ الشـاةِ

أَتَفَـحَّصُ الطُرُقـاتِ ... أَبْحَثُ بينهـا

عن خَيْطِ ذكرى من قميصِ حياتي

* *

فَــــزَّ الفـــــؤادُ علـى هتـــافٍ غـــابرٍ

عن أَصْــدَقِ الأوهامِ في صَــبَـواتـي

هل كــان حُــبّــاً؟ لستُ أدري ... إنما

قــــد كـــان درســـــاً للطريقِ الآتي

كــانت تُمَــشِّطُ شَــعْــرَهـا في شُــرْفـةٍ

خــضــراءَ ... تَنْسلُهُ الى خُــصُــلاتِ

رَفَـــعَتْ يَداً منهــا تشــــدُّ ســتـــارةً

لِتَــصـــدَّ عن أَحْـــداقِــهـــا نَظَراتي

فَظَنَنْتُــــهـــا رَدَّتْ عليَّ تَحِـــيَّـــتي

بإشـــارةٍ خـــجلى وباللَفَـــتـــاتِ

كنتُ ابنَ عــشــرٍ واثنتينِ ... فَلَمْلَمَتْ

شـفـتـايَ مـا اسْـتَـعْـذَبْتُ من كلمـاتِ

غــازَلْتُــهــا ... ثُمَّ انْتَــبَــهْتُ الى أبي

خلفي يَكِرُّ عليَّ بـالـصَـــفَـــعـــاتِ

أَتَخــونُ جـــاري يا أَثيمُ وَعِـــرْضُــــهُ

عِـــرْضي وكلُّ المُحْــصِنات بَنـاتي؟

تُبْ للغـــفـــورِ إذا أَرَدْتَ شـــفـــاعـــةً

واسْــتَــمْطِرِ الغـــفـــرانَ بالآياتِ

لا الدَمْعُ يَشْـــفَعُ والنحـــيبُ ولا أبي

سَـمَعَ اخـتناقَ الطفلِ في صَـرَخـاتي

واسْـتَكْمَلَتْ أُمي العـقـابَ ... وراعَني

وَيْلُ بإطْعـامي الى «السَّـعْـلاةِ»[٤]

فَـنَـدِمْـتُ - رغـم بـراءتـي - وأَظـنُّـهُ

كـان الطريقَ الى جِنانِ صـلاةِ

* *

(١) رغم ان جميع جسور السماوة مصنوعة من الحديد، إلاّ ان اهالي المدينة يطلقون اسم «الجسر الحديد» على جسر واحد بعينه.

(٢) أُفيش: كلمة شعبية شائعة الاستعمال في لهجات الكثير من المناطق العراقية، يراد بها التعبير عن فرح القلب وابترادِه.

(٣) السرفات: جنازير عجلات الدبابات.

(٤) السعلاة: حيوان اسطوري اعتادت الامهات على إخافة الاطفال به.

إباء

ما ليْ ومائدةِ الخَليفه؟

خبزي الفَطيرُ أَلَذُّ

والبستانُ أَرْحَبُ لي من الشرُفِ المُنيفَهْ

وحبيبتي قربي

أَحَبُّ إليَّ من مليونِ جاريةٍ

أنا الملكُ المُتَوَّجُ

بايَعَتْهُ حمامةٌ في القلبِ ...

مملكتي رصيفُ يحتفي بأَحِبَّتي الفقراءَ

حاشيتي الزَنابقُ والعصافيرُ الأليفَهْ

والتاجُ جرحُ

لا أَبيعُ بِجَنَّةِ الدنيا نزيفَهْ!

ما لي وأوسمةِ الخليفَه؟

النخلُ قَلَّدَني وسامَ الخوصِ

تثميناً لِدَوْري في الدفاعِ عن الحمائمِ

ضِدَّ قنبلةٍ مخيفَهْ

ولِصِدْقِ تهيامي بِفاخِتَةٍ

تُدَثِّرُ بالهديلِ طفولةَ الوطنِ المُوَزَّعِ

بين خوذةِ فاتحٍ ضارٍ

وَتُجّارِ «السَقيفَهْ»

النخلُ قَلَّدَني رفيقَهْ

وأنا أُقَلِّدُ نبضَ قلبي للذينَ

يقاتلونَ الذئبَ في البُستانِ ...

للأطفالِ يَسْتَجدونَ – من جوعٍ – براميلَ القِمامةِ...

للنساء المُثْكلاتِ ...

وللقناديلِ الكفيفَةْ

سُمِلَتْ

لأنَّ «محرري» لا يستبينُ الدربَ

إلاّ

تحت أضواءِ القذيفَةْ

* *

رسالة ..

يا عابرَ الآفاقْ

مُرَّ على العراقْ

وباسمِ قلبي قَبِّلِ «الفالةَ» و«المكوارْ» (١)

والعَبَقَ الطالعَ من بنادقِ الثوارْ

في «الكوتِ» .. في «ميسانَ» ..

في «الكوفةِ» .. في «الأنبارْ»

وقلْ لهم:

لا شيءَ غيرُ النارْ

لا شيء غير النارْ

يُطَهِّرُ البستانَ من رِجْسِ الخنازيرِ

ومن شوكِ الخَنا والعارْ

وقلْ لهم:

يا حاملي بِشارةِ السُنْبلِ للمنجلِ ...

والميلادْ

للوطنِ المُثْكلِ بالأعيادْ

غداً لنا ميعادْ

غداً لنا ميعادْ

مع الصباحات التي تُطَرِّزُ البلادْ

بالخيرِ والأمانِ ... والرشادْ

وقل لهم

أَطْبَقْتُ أجفاني على وجوهِكم

وأَطْبَقَ الفؤادْ

خيمةَ أضلاعي على بغدادْ

* *

(١) الفالة: اداة تشبه الرمح، لاصطياد السمك، و«المكوار» هراوة برأس من الحديد او القير، وكلتا الاداتين، كانتا من بين الأسلحة الشعبية التي استخدمها العراقيون لطرد الأنكليز في ثورة عام ١٩٢٠م.



صَـعَّـرْتَ قلبَكَ فـاسْـتَـبَـدّا

وأقَـمْـتَ دونَ الوَصْـلِ سَـدّا [1]

وَحَـجَـبْـتَ عن مُـقَـلِ المشـوقِ

فَـمـاً يُـضـاحِكُـهُ .. ووَرْدا

هـل كـنـتَ تـعـلـمُ أَنَّ بـيْ

مَـسّـاً فكانَ الدَرْءُ صَـدّا؟ [2]

أَمْ تَـسْـتَـلِـذُّ إذا الـضـنـى

يَقْـفـو جـفـونَ الصَبِّ سُـهْـدا؟ [3]

عَـــتَـــبي عليكَ وقــــد خَـــبَـــرْتَ

مـــواجـــعي غَـــيّـــاً وَرُشْـــدا

أنـا – بـاعـــــتــــــرافِكَ – ذو هُـدىً

في الحــــــالتـينِ ... وأنـتَ أَهـدى

مــــــــاذا دهـاكَ فَـــــــبـتَّ مِـنْ

نُـوَبِ الـزمـــــانِ علـيَّ أَعْـــــدى؟

أَسْـــــــــرَفْـتَ جَــــــزْراً فـي هـواكَ

وكنتُ قـــــد أَسْـــــرَفْتُ مَــــدّاً

أَجْــــهَـــــدْتَنـي حـــــتى غَــــدَوْتُ

أُناشـــــدُ الغَــــرَباء جَــــهْـــدا

يـا أكـــــــــرمَ الكُـرمــــــــاءِ فـي
صَـــــدٍّ يُزيدُ البُـــعْـــدَ بُعــــدا
عِــــــدْنــي – ولـو كَــــــذِباً – بما
أَرجـــو ... كــفـــاني الوصلُ وَعْـــدا

* *

صَـــبْـــراً .. فـــقـــد عَـــزَمَ الطعينُ
يُقــــيمُ – حين يقــــومُ – حَـــدّا
عَـــيْناً بـعينٍ ... والقَـــــصــــاصُ
أَعَـــزُّ للشـــاكي ... وأَجْـــدى
حَـــــــدِّي عـليكَ الســــــجـنُ فـي
قلـبٍ بـحـــــبلِ هـواكَ شُـــــــدّا

والـلـثـمُ إنْ هَـطَـل المـســــــــــاءُ

وإنْ بســــــاطُ الـشــــمسِ مُـــــدّا

وســــــألحــــــفَنَّكَ إنْ غَـــــفَـــوْتَ

مَـــــلاءةً: عُـــــشْــــبـــــاً وَوَرْدا [٤]

زُرْنــي تجـــــــــدُ بـي لـلـهـــــوى

قلبــــاً يتـــــيمَ النِدِّ ... فَـــــرْدا

* *

مَـلِكَ الـهــــــوى ... أتـريـدُ جُـنْـدا

يقـــــفـــــونَ بـين يديكَ أُسْــــدا؟

يُـفْـــــــــــدُونَ مـنـكَ المـقـلـتـينِ

ومـــــبـــســـمــــاً بالطيبِ يندى؟

قـلـبـي وثـغـــــــــــري والـضـلـوعُ

وخـــافقُ مـــا خـــان عـــهـــدا:

حَـــــــــــــرَسٌ إذا جُـنَّ الُـدجـى

وأَطَلَّ عـــاصـــفـــةً ورَعْـــدا

وإذا تـنـاداكَ الأصـــــــــــــيـلُ

مُـــــغـــــازِلاً فُـــــلاًّ ورَنْدا

خَـــــدَمٌ إذا قُـــــمْتَ الضُـــحـى

وَطَلَبْتَ ريحـــاناً وَشَـــــهْـــدا

واذا عـــــوى ذئبُ الشــــتــــاءِ

فَـــدِفْـــئُـــهُ ســـيـــقـــيكَ بَرْدا

«ليـــــلاي» أَنـتَ إذا غَــــــفَــــوْتُ

وإنْ صَـحَـوْتُ فــأنتَ «سُــعــدى» (٥)

وإذا سَـــمَـــوْتُ لعـــزِّ «عَـــمْـــروٍ»

كـنـتَ لـي فـي الـعِـــــــزِّ «هِـنْـدا» (٦)

وإذا عَـــزَمْـتُ فـــــمــــا ســــواكَ

يَشِـــــــدُّ لـي فـي الـعـــــزمِ زَنْـدا

هَـزُلَ الزمـــــانُ .. عــــسـى المكانُ

يُـنيبُ عــــمّــــا فـــاتَ جِــــدّا

* *

هيـــــهـــاتَ ينجـــو من فــــمي

خَـــــــدّاكَ والجــــــفنُ المُـنَـدّى

هَيَّـــأْتُ مـن قُـــبَلٍ لجـــيــــدِكَ

لا من اليـــاقـــوتِ عِــقْـــدا

أيــنَ الــهـــــــــروبُ وكــلُّ دربٍ

مـن دروبِ الـفَـــــرِّ سُـــــدّا؟

جَـــيَّــشْتُ شـــوقـــاً لا يُحَـــدُّ

وَخَـــيْلَ تـهـــيــامٍ ... ووَجْـــدا

سَـــأَكـــرُّ حـــتى أَسْـــتَـــبـــيكَ

لـكي أكـــونَ لديكَ عَـــبْــــدا [٧]

فــــإذا أَسَـــرْتُكَ أَفْـــتَـــديْكَ

وإنْ أُسِـــرْتُ فَنِعْمَ قَـــيْــــدا

* *

(١) الصعر: الميل عن الناس غروراً وكبرياء.

(٢) الدرء: الدفع ومنه المثل «درء المفاسد اولى من جلب النعم»

(٣) يقفو: يتبع الشيء
(٤) الحفنك: ادثرك، أغطيك...
(٥) سعدى: مؤنث السُعدان: من اسماء الإسعاد
(٦) عمرو: عمر بن كلثوم الشاعر الجاهلي، احد اشهر المعتزين بالأم.
وهند أمه.
(٧) أستبيك: أقوم بأسرك.
و«عبد»: اردت من الكلمة، المعنى القاموسي
اي: القِن، أو المملوك لغيره رِقّاً.

نقوش على جذع نخلة

١

الكونُ مرآةُ

كلُّ النهاياتِ بداياتُ ...

إذَنْ؟

كلُّ البداياتِ نهاياتُ

وتلكَ آياتْ

* *

٢

أَتَسْتَحِقُّ هذه الحياةُ أَنْ يعيشَها الإنسانْ

مِسْخاً ... ذليلاً ... خائفاً ... مُهانْ؟

....

....

....

في حُفْرَةٍ ضَيِّقَةٍ يَأْنَفُها الحيوانْ

مُخْتَبِئاً كانَ ... وكان الموتُ والنيرانْ

يَحْتَطِبانِ الناسَ والبستانْ

......

....

ليس شجاعاً لِيَقُرَّ أَنَّهُ جَبانْ!

* *

٣

ما قيمةُ التحريرِ

إنْ كان الذي هَبَّ الى نَجْدَتِنا

حَرَّرَنا

واعْتَقَلَ الوَطَنْ؟

....

....

ما شَرَفُ اليد التي تُبْعِدُ عن أعناقِنا القَيْدَ

وعن عيونِنا الوَثَنْ

حين يكونُ الوَطَنُ الثَمَنْ؟

* *

٤

لا ماءَ في النهرِ ... ولا أَمانْ

في الدارِ ..

والبستانْ

مُكَبَّلُ الظِلالِ والأَفنانْ

......

....

جريمةُ المُثْلَةِ بالأوطانْ

ليسَتْ أَقَلَّ في كتابِ اللهِ

من جريمةِ المُثْلَةِ بالإنسانْ

* *

٥

لِثَمودَ أُخْتُ

أَشْرَكَتْ يوماً ... وبايَعَتِ الضَلالْ

دِيْناً

فأَوْحَلَ في الينابيعِ الزُلالْ

فاشْهرْ حسامَكَ

أَيها الشعبُ الموزَّعُ بين خوفِ المستريبِ

وبينَ عارِ الأحتلالْ

* *

٦

خَطيئَةٌ أَنْ يَستمرَّ الجرحُ

في شكواهُ للسكِّينْ ...

خطيئةٌ أَنْ يأْلَفَ القيدَ

فلا يبذلُ ما في وسعهِ لكسرهِ

مُضْطَهَدٌ سجينْ ...

خطيئةٌ أَنْ يَقْنَعَ العاشقُ بالمنديلِ

والشريدُ بالرصيفِ

والقتيلُ بالفِدْيَةِ

والشعوبُ بالوعدِ الذي

يَقْطَعُهُ الغُزاةُ في الرحيلِ بَعْدَ حينْ

خطيئةٌ أَنْ تشتري النهرَ

اذا ما كان عِطْرُ الروحِ – سِعْراً –

وندى الجبينْ!

* *

٧

آخرُ ما تَضَمَّنَتْهُ نشرةُ الأَخبارْ

أنَّ إمامَ القصرِ أَفْتى

بوجوبِ السيرِ في معركةِ الحِوارْ

إذنْ؟

أَعِدُّوا لعدوِّكم – عدوِّ اللهِ – ما يُرْهِبُهُ

من قُوَّةِ اللسانْ

وما اسْتَطَعْتُم من خيول الخُطَبِ العصماءِ

والبَيانْ

ذودوا عن التُرابِ والمالِ

وعن عِرْضِ المُحَصَّناتِ بالأَشعارْ

حتى يَفِرَّ القاتلُ المحتلُّ من بستاننا

وتُسْتعادَ الدارْ

....

....

آخرُ ما تناقَلَتْهُ نشرةُ الأخبارْ

انَّ العَدُوَّ دكَّ بالمدافعِ «الكوفةَ»

واسْتَدارَ «للأنبارْ»

وحضرةُ «الإمامِ» ما زال على فَتْواهُ

أَنْ نُطْفِيءَ نارَ حِقْدِهم

بِكَوْثَرِ الحوارْ!

* *

٨

وراءَ كلِّ مُسْتَبِدٍ:

نُخْبَةُ تعملُ في صناعةِ الألقابْ

وزمرةُ من المُصَفِّقينَ لا تَتْعَبُ من نِفاقِها

وَثُلَّةُ من أدعياءِ الفكرِ تَسْتَرْزِقُ من أقلامِها

تُجيدُ فَنَّ «المدحِ والرَّدْحِ»

او الرقصِ على وقعِ رنينِ التِبْرِ

في الولائمِ «المدفوعةِ الحسابْ»

وَجَحْفَلُ من أَشْرَسِ الذئابْ

وفيلقُ من الذُبابِ البشريِّ

ينشرُ الطنينَ في المدينةِ الخرابْ

يُبَشِّرُ الخانعَ بالثَوابْ

ويُوْعِدُ الثائرَ بالعِقابْ

* *

وراء كلِّ مُسْتَبِدٍ ظالمٍ

يَدُ خَفِيَّةٌ تُديرُ اللعبةَ اللغزَ ...

يدُ تقفلُ او تَفْتَحُ قُفْلَ البابْ

* *

٩

كلُّ الجَرادِ البشريِّ الانَ في بغدادْ

فَيا جياعَ الرافدينِ اتَّحدوا

وَنَظِّفوا الحقلَ من الجَرادْ

كي لا يجوعَ في الغدِ الأبناءُ والأَحْفادْ

فإنَّ تأمينَ رغيفِ الخبزِ

فَرْعٌ من فروعِ شِرْعَةِ الجهادْ

* *

١٠

يُصَدِّرُ العراقُ تَمْراً

وَمُشَرَّدينَ ناجينَ من الإبادَهْ

والحزنَ

والنفطَ الذي أَشْبَعَنا جوعاً ...

ويستوردُ كلَّ سِلْعَةٍ

بِدْءً من الأحذيةِ المطّاطِ

حتى «حَرَسِ» القيادَهْ

ولم يزلْ سَعادَةُ «العُمْدِةِ» في مجلسِهِ

يُطْنِبُ في الحديثِ عن كرامةِ الشعبِ

وعن تكامُلِ السيادَهْ

وهو الذي يعرفُ أَنَّ رأسَهُ

باتَ رهينَ «صاحبِ الوِسادَهْ»

فوق سريرِ سلطةٍ مُحْتَلَّةِ الإِرادَهْ

١١

يا كُلَّ مَنْ جاؤوا الى «وليمةِ» العراقْ

من ساسةٍ ... ومن مرابينَ ..

وباحثينَ عن أسواقْ

للسلَعِ التي بها تُسْتَعْبَدُ الأَعناقْ

لِتَتَّقوا اللهَ بها ...

فليس من مكارمِ الأَخلاقْ

أَكْلُ «نَطيحةٍ» على مائدةِ النِفاقْ (*)

* *

(*) النطيحة: الميت من نطح
اشارة الى قوله تعالى: «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة». من سورة المائدة

١٢

النَّبْضُ في أغصانِنا

والموتُ في الجذورْ ...

كأننا الناعورْ:

نَدورُ حول نَفْسِنا ..

وحولَنا يدورْ

بسوطِهِ المحتلُّ ... والقاتلُ .. والمأْجورْ

كأنَّنا التَنّورْ:

نَقْنَعُ بالرمادِ من وِجاقِنا

وخبزُنا يأْكُلُهُ المحتلُّ .. والقاتلُ .. والمأجورْ

* *

١٣

خُرافَهْ ...

كلُّ الذي أدلى به الناطقُ باسمِ القصرِ

عن تسابقِ الجموعِ في «الكرخِ» وفي «الرصافَهْ»

للرقصِ في مأْدُبَةِ اللئامِ

تعبيراً عن الضيافَهْ

خُرافَهْ!

* *

خرافةٌ أنْ تُصْبِحَ المسافَهْ

بين العراقيِّ وبين القاتلِ المحتَلِّ

بين الجرحِ والسكينِ دولارٌ من الفِضَّةِ

أو كأسٌ من السُلافَهْ

* *

خُرافَةٌ

أَنْ يعرفَ الحريةَ العبدُ الذي

يركعُ للمحتلِ كي يُدْخِلَهُ مُنْتَجَعَ الخلافَهْ

* *

خرافةٌ

أَنْ يؤمنَ اللبيبُ بالخرافَهْ

* *

١٤

كيف يقومُ بيننا «مُعْتَصِمُ»

يذودُ عن كرامة «الحُرَّةِ»

حين يَسْتَبيحُ خِدْرَها المنبوذُ والآفِكُ والهَجِينْ

إن كانت «الأُمَّةُ» قد أوْكَلَتِ «العِصْمَةَ» للغريبِ

فهو الآمرُ الناهي ... وليُّ أمرِها ..

وصاحبُ القرارِ – وقتَ الفَصْلِ – بين الظنِّ واليقينْ؟

* *

كيف يقومُ في جموعِنا «صلاحُ الدينْ»

ونحن لا «صَلاحَ» في نفوسِنا

مُسْتَبْدِلين لَذَّةً زائلةً بـ «الدِّينْ»؟

* *

كيفَ يَضوعُ صُبْحُنا مَسَرَّةً

وليلُنا وِدادا

إنْ كان فينا نَفَرُ

يرى الخرابَ نعمةً ...

وَذَبْحَ إنسانٍ نضالاً ...

واختطافَ امرأةٍ شَهامةً ..

وَنَسْفَ بَيْتٍ آمنٍ جِهادا؟

* *

١٥

ما أَضْيَقَ الوطنْ؟

حين يكونُ واحةً

يَمْرَعُ فيها الفاتحُ المُحْتَلُّ (*)

أو سقيفةً

يُبايِعُ الأجلافُ تحت ظِلِّها

طاغيةً وَثَنْ

* *

ما أرحبَ الوطنْ!

حين يكون خيمةً أَوتادُها الأمانُ والوِدُّ

ولا يَقْرَبُ من رِواقِها الضَغَنْ

* *

(*) يمرع: يتنعم

١٦

كلما نَرْفَعُ صوتاً

باسمِ طفلٍ شاخَ رُعْباً

وأَبٍ قَيَّدَهُ القهرُ

وباسمِ الأَرْمَلَهْ

أَوْقِفوا سَفْكَ الدمِ المهدورِ في «الكوفةِ»

في «الأنبارِ» و«البصرةِ»

في «الكوتِ» وباقي المدنِ المُشْتَعِلَهْ

فمتى تعطون للجائعِ خبزاً

وأماناً للعصافيرِ التي غادَرَتِ الحقلَ؟

متى يَرْكِنُ للحكمةِ «ربُّ القُنْبُلَهْ»

فَيُجيبُ القَتَلَهْ:

صَبْرَكم ..

لم يُكْمِلِ التحريرُ عامينِ

علامَ العَجَلَهْ؟

* *

١٧

خَجِلَ الجوابُ من السؤالْ:

– خلَتِ الحقولُ من الذئابِ ...

فما لصوتِكَ لا يُشارِكُ باحتفالْ؟

– أجَلِ ...

الحقولُ خَلَتْ من الذئبانِ

لكنَّ الخنازيرَ استَحَلَّتْ نخلَها

وَتمَرَّغَتْ بالوردِ

فانْتَحَرَ القُرُنْفُلُ

واستجارَ من الوحولِ البرتقالْ

فعلامَ هذا الاحتفالْ

وبأيٍّ ميلادٍ جديدٍ تحتفي بغدادُ؟

في النجفِ المآذنُ تشتكي خَرَساً

وفي الفلوجةِ الموتُ المُبَرْمَجُ

والوبالْ

يمتدُّ من نخلِ الجنوبِ

الى البَنَفْسَجِ في الشمالْ؟!

* *

١٨

السُّرُفاتُ دَكَّتِ القبورَ (*)

واسْتَباحَتِ الرُفاتْ

أضاقتِ الأرضُ فلم تَجدِ لها مسارباً؟

أَمْ أنها

تخافُ أَنْ يَنْتَفِضَ الأمواتْ

تضامناً مع الجماهيرِ التي أرْخَصَتِ الحياةْ

ذَوْداً عن الأرض التي

دَنَّسها الغزاةْ؟

* *

(*) السرفات: جنازير عجلات الدبابات

١٩

ذكيَّةٌ قنابلُ التحريرِ

لا تُصيبُ إلاَّ الهدفَ المرسومَ

من قبلِ ابتداءِ نزهةِ القتالْ

ذكيَّةٌ ... ذكيَّةٌ ..

تُمَيِّزُ الوَحْلَ من الزُلالْ

ونغمةَ القيثارِ من حَشْرَجَةِ السُعالْ

ذكيةٌ ... ذكيةٌ

لا تُخْطيءُ الشيوخَ والنساءَ والأطفالْ

ولا بيوتَ الطينِ .. لا أماكنَ الصلاةِ

أو مشاغِلَ العمالْ!

* *

٢٠

أَخْطَرُ ما يُهَدِّدُ الأوطانْ

القادَةُ الإِماءُ ...

والحاشيةُ الغلمانْ

وفاتحو الأبوابِ نصفَ الليلِ

للدَّخيلِ والمنبوذِ والجبانْ

* *

أخطرُ ما يُهَدِّدُ الإنسانْ

عِمامَةٌ

تكتبُ فَتْواها على طاولةِ السلطانْ

تُجيْزُ للرَعِيَّةِ الجوعَ

وللخليفةِ التُخْمَةَ

أو تُفَسِّرُ القرآنْ

على مِزاجِ صاحبِ الإِيوانْ

* *

٢١

طفلٌ بلا ساقَينْ

وطفلةٌ مشطورةٌ نِصْفَينْ

وطاعِنٌ دونَ يدٍ

وامرأةٌ مقطوعةُ النهدينْ

وَكُوَّةٌ في قُبَّةِ «الحسينْ»

جميعُها:

حصادُ طلقتينِ من دَبَّابَةٍ

مَرَّتْ بـ «كربلاءْ»

تحيَّةً ليومِ «عاشوراءْ»

* *

٢٢

يا زَمَنَ الخوذةِ والدفنِ الجماعيِّ

وقانونِ وحوشِ الغابْ

متى ...

متى يخترعون طلقةً

تَمَيِّزُ الطفلَ من الجنديِّ

أو قذيفةً

تُمَيِّزُ الحانةَ والمبغى من المحرابْ؟

وشنطةَ التلميذِ من حقيبةِ الإرهابْ؟

متى ...

متى يُغادِرُ الأغرابْ

بستانَنا

فَيَسْتَعيدُ النخلُ كبرياءَهُ

ويستعيدُ طُهْرَهُ الترابْ؟

* *

٢٣

البندقيةُ وحدُها الحَكَمُ المُنَزَّهُ

بينَ مشكاةِ اليقينِ

وبين ديجورِ الضَلالْ ...

البندقيةُ – لا اليراعُ – الناطقُ الرسميُّ

باسمِ الدارِ تَطْحَنُها خيولُ الإِحتلالْ

باسمِ الغدِ المأمولِ

باسمِ طفولةٍ سُفِحَتْ

وباسمِ عُراةِ كهفِ الإعتقالْ

باسم الفراتِ المستباحِ

وباسمِ نخلٍ مُثْكَلٍ بالسَعْفِ والعرجونِ

حتى باتَ مذبوحَ الظِلالْ

فاكنسْ بمجرفةِ الجهادِ الوَحْلَ

واسْتَأْصِلْ جذورَ «أبي رُغالْ»

«لا يسلم الشرفُ الرفيعُ من الأذى»

حتى يُزالَ الإحتلالْ

حانت صلاةُ الذَوْدِ ...

حيَّ على النزالِ .. على النزالِ

على النزالْ

* *

٢٤

تَعَفَّرَتْ بِذُلِّها الجِباهْ

فَطاعِنٌ يبحث عن دوائِهِ ...

وجائعٌ يبحثُ عن طعامِهِ...

وخائفٌ يبحث عن مأْواهْ...

وعاشقٌ يبحثُ في مستودعاتِ القتلِ

عن «ليلاهْ»

في الوطنِ المحكومِ بالمأساهْ

متى تزولُ الـ «آهْ»

والدمُ في مدينتي يمتدُّ من بستانِها

حتى بيوتِ اللهْ؟!

* *

٢٥

كلَّما صاحَ بيْ اللائمونَ اتَّئِدْ

حَثَثْتُ خطايَ

الى حيثُ لا نجمةٌ تَتَّقِدْ

ولا من ظِلالٍ سوى خيمةٍ

كلما أمطرتْ غيمةٌ تَرْتَعِدْ

ألا أيها العشقُ ... يا آسري المستبدْ

شَبِعْتُ من الصبرِ حتى تَقَيَّأْتُ خبزَ الأماني

وَجَفَّتْ على شفتيَّ الأغاني

فَمَنْ لي بطينِ الفراتِ

عسى نخلتي تَبْتَرِدْ؟

* *

٢٦

كان يَشدُّ الليلَ بالنهارْ

مُهاجراً من دونما أنصارْ

مُنَقِّباً في مُدُنِ الريبةِ عن ياقوتَةِ الحكمةِ

تسْتَفِزُّهُ الريحُ فَيَسْتَهْزِيءُ بالإِعصارْ

وبالمماليكِ الذينَ بايعوا التتارْ

يحملُ في فؤادِهِ اللهَ

وفي مقلتِهِ السنبلَ والأزهارْ

يُبَشِّرُ التنُّورَ بالدخانِ

والصحراءَ بالعشبِ وبالأمطارْ

والطفلَ بالدُمْيَةِ .. والظلمةَ بالأنوارْ

لكنما «الأغرابُ» باغتوه في المحرابْ

يقرأُ في الكتابْ:

«وفضَّل اللهُ المجاهدينْ ...» (*)

وقبل أَنْ يُكْمِلَ

كَرَّ البَشَرَ الذئابْ

عليه بالرصاصِ والحِرابْ

بتهمةِ الإِرهابْ

* *

(*) من سورة النساء، الآية ٩٥

٢٧

أَطْبِقْ على ليلي بِصُبْحِكَ يا حبيبي ...

أَزِفَ الودا عُ

واَذَنَتْ شمسُ «ابن دجلةَ» بالغروبِ

كلُّ الزهورِ الى ذبولٍ

والنَّضيرِ الى شحوبِ

إلاَّ عناقيدُ المحبَّةِ

في بساتينِ القلوبِ

* *

٢٨

ما بالُ قومي؟

كرَّشَتْ خيولُهُمْ .... أأَدْمَنوا السُباتْ؟

مَرَّتْ عقودُ وسياطُ الذلِّ في ظهورهم ...

يقودُهُمْ طاغيةٌ حيناً

وحيناً دُمْيَةُ الغزاةْ

إلاّ الذين أسرجوا القنديلَ في ديجورِنا

وغادروا الحياةْ

* *

٢٩

مُثْكَلَ القلبِ ... يتيمَ النَظَراتْ

فَزِعاً فَرَّ «عليُّ الجهمُ» من زنبقةِ الروحِ

الى دَغْلِ الفَلاةْ

راعَهُ أَنَّ الينابيعَ دماءُ

والبساتينَ مَواتْ

لا المَها تدنو من الجسرِ

ولا «دجلةُ» تُغْوي بالرياحين الفراشاتِ

فكلُّ الشُّرُفاتْ

أَغْمَضَتْ أجفانَها منذُ اجتياحِ السُّرُفاتْ (*)

واحةَ العشقِ ... وأكواخَ «الفراتْ»

* *

(*) السرفات: جنازير عجلات الدبابات

٣٠

مَن الذي أَرْثيهِ؟

يومي؟

أَمْ غدَ البلادْ؟

أَتُبْعَثُ العَنقاءُ من رمادِها

وعصفُ ريحِ الحربِ يا بغدادْ

لم تُبْقِ حتى حفنةَ الرمادْ؟ (*)

* *

(*) الحفنة: ما يملأ الكفين من مادةٍ ما

أضيئيني

ظَمـــيـــئُك فـــاطْفـــئي شَـــرَري
بكوثـرِ نَـبْــــعِكِ الخَــــصِـــــرِ [١]
بـنَـفْـحٍ مـن رحـــــــيـقِ الـقـلـبِ
لا من كـــأسٍ مُـــعْـــتَـــصَــرِ
أضـــيـــئي ليلَ مُـــغْـــتَـــرِبٍ
عـــقـــيمَ النجمِ والقَـــمَـــرِ
وَلُـودَ الـهـمِّ والأحـــــــــــزانِ
داجٍ بـــائـــسَ الـــوَطَـــرِ

أضيئيني بنورٍ منكِ
أو بلهيبِ مُجْتَمَرِ
وَنُصْحٍ أسْتعينُ بهِ
على مُسْتَذئِبٍ أَشِرِ
عسى بُسْتانيَ المذبوحُ
يغدو ضاحكَ الشَجَرِ
أضيئيني لعلَّ الليلُ
يُفْضي بيْ إِلى سَحَرِ
ويكسرُ صَمْتَهُ الوحشيَّ
في تَرْنيمَةٍ وَتَري

ظَمــــيــــئـــاتُ الى قَـــدَمــــيكِ

يـا أُخـتَ الـهـــــوى غُـــــــدُري[٢]

فـــــيـــا نَهـــــراً من الصَلواتِ

يا حـــــقــــلاً من الخَـــــفَـــــرِ

رأَتْكِ بَصـــــيـــــرتي حُلُمــــــاً

يُكحِّـلُ بـالـنَدى بَـصَــــــــــري

ونـافــــــــــــــذةً تُــطِــلُّ عــلــى

غـــدٍ في ليلِ مُــــحْــــتَــــضَـــرِ

وقـــــنــــديـــــلاً أَنِــــشُّ بــــه

دُجى مُـــــسْــــتَـــــوْحَشٍ خَطِرِ

فـــــمـــــا رِبْحي من الدُنيـــــا

وقلبي منكِ في خُـــــسُـــــرِ؟

فَـــصُـــبّي في دمي نَسَـــغـــاً

يُفَـــــتِّحُ وردةَ السَـــــمَـــــرِ

ونامي بين أجــــــفـــــانــي

ليــغـــدوَ مُــعْـــشِــبــاً حَــجَــري

وَمُـــــرِّي في صـــــحـــــارى الروحِ

قـــــــــافـلـةً مـن المَـطَـرِ

أعِـــــــينيني عليَّ... عليكِ...

إنَّ الـقـلـبَ فـي ذُعُـــــــــرِ

أغيثيني فقد هُزِمَتْ

خيولي دونَ مُشْتَجِرِ

ويا نهراً من الصَلَوات

لا تَشْمتْ بمُنْدَحِرِ

فإنَّ سواحلَ «الخمسينَ»

مُشْرِفةٌ على جَزَرِ [٣]

خَلِيٌّ القلبِ إلاَّ منكِ

في طاحونةِ السَهَرِ

على عَثَرٍ مَشَيْتُ العمرَ

درباً غيرَ ذي أَثَرِ

أضـــــيعُ فَــــيُــــسْـــــتَــــدَلُّ علـيَّ

من حــــــزنـي ومـن ضَــــجَــــري

فـكـونــي لــلـغـــــــــريـبِ الـدارَ

كـــــونـي غــــايـةَ السَـــــفَـــــرِ

* *

يُمــــاطِـلُ وجـــــهُــــهــــا عـــــينـيَّ

فـي صـــــــحــــــوٍ وفـي خَــــــدَرِ [٤]

ولــولا عِـطـرُ وردِ الــصـــــــــــوتِ

مــــــــا لَـوَّنْـتُ مـن صُــــــــوَرِ

فــــــلا أُذنـي الـتي عــــــشــــــقَـتْ

حــــــدائِـقَــــــهــــــا ولا نَـظَـري

ولكن شاءت الأقدارُ

من قلبي على كِبَرِ

مقاديرُ ... وهل للمرءِ

مَنْجىً من يدِ القَدَرِ؟

* *

(١) الخَصِر: البارد

(٢) الغُدُر: جمع غدير

(٣) الجزر: بالزاي المفتوحة: الارض التي تنكشف عنها المياه



ما كان لي أَنْ ألتقيكِ بمستراحٍ من خريفِ العمرِ

لا نارُ فَتُذْكي المِبْخَرَهْ

تَعِبَتْ صباحاتي

فأَلْقَيْتُ العَصا في الغابةِ الحجريَّةِ الأشجارِ

منتظراً بِشارَةَ هُدْهُدِ الرؤيا

وحين غَفَوْتُ أَيْقَظَني صداكِ

ذُعِرْتُ ...

كان الماءُ من حَجَرٍ

ولا عشبٌ فَيُنْبِىءُ عن طحينٍ في رُحى وَجَعي

حَزَمْتُ بَقيَّتي .. لكنَّ بابَ البحرِ موصدةٌ

وأرصفةَ الموانىءِ مُقْفِرهْ!

ما كان لي أَنْ أخبزَ الأحلامَ في ماعونِ صَحْوي ..

أَنْ أَمُدَّ يدي الى العَرّافِ ..

كاذبةٌ خطوطُ يدي

وأَكْذَبُ منهما ما كانَ يرسمُهُ خيالُ المحبَرهْ

* *

ما كان للشيطانِ يُغويني

فأَدْخل فيكِ مملكةَ الظنونِ!

فَدَعي البَقِيَّةَ من يقيني

خَذَلَ التَعَقُّلُ عنفواني ..

فالتَجَأْتُ الى الجنونِ!

* *

ما كان للأقمارِ في عينيكِ تضحكُ ليْ

وللريحانِ في شفتيكِ يُغوي نَحْلَ ثغري

فاطْلِقيني

من أَسْرِ أعنابٍ وَتِيْنِ

تاقَتْ جِمالي للرمالِ ...

ونخلتي تاقَتْ لِطِيْنِ

* *

اكتفاء

الليلُ نفسُ الليلِ

إلاَّ أَنَّ بيتي لا يُضاءْ

بجبينِ أمي وهي تَخْتَتِمُ النوافلَ بالدُعاءْ

والصبحُ نفسُ الصبحِ

إلاَّ أَنَّ حقلَ الأصدقاءْ

قَفْرٌ ...

ونفسُ الأرصفَهْ

تمتارُ من تَعَبِ الحُفاةْ

لكنَّ طعمَ الأَرغفَهْ

غيرُ التي سُجِرَتْ بِتَنُّورِ الفراتْ

* *

من حسْنِ حَظّي أنني هيّأُتُ:

نهري للجفافِ ... وللخرابِ السنديانةَ ..

والحديقةَ للخريفِ ...

وللفراقِ الأصدقاءْ

من حسن حظي أنني هَيّأتُ نفسي

منذُ أَوّلِ رشفةٍ من كوثرِ الفرحِ المؤَقَّتِ

للشقاءْ

وأَقَمْتُ ما بيني وبين لذاذةٍ دونى

جداراً من إِباءْ

من حسن حظي أنني

لم أَتَّخِذْ لغدي دليلاً غيرَ أمسي

فاسْتَعَنْتُ على الرياحِ المستريبةِ

بالتَشَبُّثِ بالجذورِ

عَصَبْتُ عيني بالقناعةِ

فاكتفيتُ بما تَيَسَّرَ في وجاقي

من دخانْ

ورضيتُ بالطينِ البديلَ عن الحريرِ ..

بِوَحْلِ كهفٍ عن رحيقِ الزُعْفُرانْ

في ظلِّ أَرْوِقَةِ الهوانْ

* *

تعاويذ ...

أعوذُ باللهِ من الصلاةِ خلفَ لحيةٍ

تُمَجِّدُ الغُزاةْ

ومن رصيفٍ ينبذُ الحُفاةْ

أَعوذُ باللهِ من الساسةِ ينسجون للعُراةْ

ثوبَ الشعاراتِ التي تُبايعُ الطُغاةْ

أعوذُ باللهِ من الأَئِمَّةِ التُجّارْ

الشاكرين نِعْمَةَ الدولارْ

في الليلِ يبكونَ «علِيّاً»

ويُبايعونَ قاتليهِ في النهارْ

* *

كفرتُ بالجهادْ

إنْ كان يستهدفُ في رصاصهِ الجياعَ

والأطفالَ والنساءْ

لا القاتلَ المحتلَّ

والمُسْتَعْبَدينَ القادةَ الإماءْ

كفرتُ بالقنبلةِ العمياءْ

تَضِلُّ دربَها إلى مرعى الخنازيرِ التي

تمرعُ في «المنطقةِ الخضراءْ»

كفرتُ بالنضالِ

معروضاً بأسواقِ المخابراتِ للإيجارْ

وبالعمائمِ التي تُحَرِّمُ الجهادَ

حين تُسْتَباحُ الدارْ

كفاكِ هذا العارْ

كفاكِ هذا العارْ

يا أُمَّةَ الله انهضي...

كفاكِ هذا العارْ

من قبلِ أَنْ يُطْبِقَ ليلُ القهرِ بالدُجى

على بقيةِ النهارْ

وقبل أَنْ يُؤَمْرَكَ «القرآنُ» (*)

أو

تُهَوَّدَ الأمصارْ

* *

(*) يؤمرك: يصبح أمريكياً – اشارة الى إقدام الادارة الاميركية على فرض مناهج دينية جديدة للتربية الدينية في المدارس العراقية.

ملكتني جميعا

ما كنتُ عبداً للهوى

ولا استْبَى الجَمالُ مني خافِقاً منيعا ...

فما الذي غَيَّرَني

حتى غَدَوْتُ المُدْنَفَ المُطيعا؟

ملَكْتِ من أشجاريَ الأصولَ والفروعا

فما الذي أَبْقَيْتِ للماءِ الذي أَعْشَبَ رملي

فَغَدا خريفُهُ رَبيعا

إنْ كنتِ قَدْ مَلَكْتِني جميعا؟

وما سَتُبْقينَ لِمَنْ أَحْبَبْتُ في يَفاعَتي

إنْ كنتِ قَدْ مَلَكْتِ في كهولتي

ياقوتَةَ الحكمةِ ... والبستانَ ... واليُنْبوعا؟

وما سَتُبْقينَ لِمَنْ فارَقْتُ من أَرومتي

إنْ كنتِ قد مَلَكْتِ مني الجفنَ

والأهدابَ ... والدموعا؟

وما سَتُبْقينَ لِمَنْ أَحَبَّني قبلكِ يا أنيستي

إن كنتِ قَدْ مَلَكْتِ مني شَفَةً

ومقلةً ...

وخافقاً ضَروعا؟

أُريدُ أَنْ اعْتَكِفَ الآنَ ..

فهل تركتِ قلبي لحظةً واحدةً

لَعَلَّني اكتشفُ الجسرَ الذي

يُوْصِلُ عينيكِ بعينيَّ ولو سُوَيْعَةً

من قبل أنْ أَسقطَ في مُغْتَرَبي مَروعا!

سَرَقْتِني مني

فما تَرَكْتِ لي - إلاَّكِ - في صَوْمَعَتي شموعا

فَمَسِّدي يبيسَ عمري

آنَ للمهاجرِ الضائعِ أَنْ يبتدىءَ الرجوعا

مَنْ لي سوى يديكِ يا آسرتي

يمكنُ أَنْ تكونَ حول خافقي ضلوعا؟

قِفي على شرفةِ عَيْني لحظةً

عسى أعودُ هادئاً وَديعا!

فالوَجْدُ قد صَيَّرَني مُشاكساً جَزوعا!

تهْتُ .... فهل وَجَدْتِني

من قبلِ أَنْ أَضيعا؟

* *

أَدْركُ أَنَّ ليلتي قارَبَتِ الهَزيعا

وأَنَّ سنديانتي لمّا تَعُدْ ضاحكةَ الوَرْدِ ...

ولا ربابتي

تُثْمِلُ في لحونِها الجموعا ...

أدرك أَنَّ نَجمكِ الصبوحَ

لا زال على عادتِهِ سَطوعا ...

وأَنَّ من حولِكِ أَلفَ عاشقٍ

يحلمُ لو خَرَّ على يديكِ – من صَبابةٍ – صريعا ...

لكنَّ قلبي لم يَزَلْ طفلاً

وبستاني يفيضُ خضرةً

وأنني لا زالَ في نخلةِ عمري رَطَبٌ

هزِّيه يَسّاقَطْ جَنِيّاً:

دَنَفاً ... عشقاً ..

هياماً طاهراً خَشوعا ...

وَوَطِّنيني منكِ قلباً بعدما

مَلَكْتِني جميعا!

* *

هل هذه بغداد؟

أَغْمَضْتُ عن شَجَرِ الهوى أحداقي
فاسْكُبْ طِلاكَ على الثَرى يا ساقي
وَرَمَيْتُ عني بُرْدَةً أَبْلَيْتُهـا
في حربِ أشجاني على أشواقي
وَبِصَخْرِ صبرٍ ما الْتَحَفْتُ بغيرِهِ
وأنا أجوبُ مَتاهةَ الآفاقِ
ما عُدْتُ تَنّوراً لخبزِ صَبابةٍ
سُفُنُ المَسَرَّةِ آذَنَتْ بِفِراقِ

جَفَّ الصُـــداحُ على فـــمي وَتَخـــثَّــرَتْ

لغَـــــتي وأَضْــــــرَمَ زَنْدُها أوراقي

وَتَعِـــبْتُ من صـــــوتي أُنادي لاهثـــاً

وطني ونخلَ طفـــــولتي ورفـــــاقي

وأَحِـــبَّـــةً مَـــرَّتْ على بســـتـــانِهِم

خـيلُ الغُـزاةِ فـأَصْـحَـرَتْ أعـمـاقي

وأنينَ ناعــــورٍ وضـــــحكةَ جـــــدولٍ

وَرَذاذَ فـــانوسٍ وَجَـــمْـــرَ وِجـــاقِ

أَشْفَقْتُ – من خوفي – عليَّ فَخاصَمَتْ

نارُ الفـــؤادِ سُـــلافَـــةَ الإشـــفـــاقِ

أدمنتُ خُسْراً منذُ فَجرِ يَفاعَتي ...

وَهْمُ المنى ضَرْبٌ من الإخفاقِ

غرسوا الظلامَ بمقلتي فَتَعَطَّلَتْ

شمسي ونافذتي عن الإشراقِ

المُطْلِقونَ حمائمي من أَسْرِها

شَدُّوا الفضاءَ وروضَها بِوثاقِ

فاذا بتحرير العراقِ وليمةٌ

حَفلَتْ بما في الأرضِ من سُرّاقِ

الساسَةُ المُسْتأجرونَ مصيبةٌ

رُزِئَتْ بها قُدْسِيَّةُ الميثاقِ

مـا العـجبُ لو خـانَ الفـؤادُ ضلوعَـهْ؟

إنَّ الذي خـانَ العـراقَ عـراقي!

المُسْـتَـغـيثُ من الظلامِ بظلمـةٍ

أدجى ومن مُـسْـتَنْقَعٍ بِذُعـاقِ[1]

فـاذا النضـالُ نخـاسَـةٌ مـفـضـوحـةٌ

فـاحَتْ عـفـونتـهـا بِسـوقِ نِفـاقِ

وإذا الطِمـاحُ مناصبٌ مـأجـورةٌ

يُسـعى لهـا زَحْـفـاً على الأعناقِ

إنَّ البـلادَ بأَهْلِـهـا فـاذا بلوا

تَـبْـلـى ولـو دُرِئَـتْ بـألـفِ رِواقِ

ولقـــد رأيتُ العِـــشْقَ يلْطِمُ وَجْـــهَـــهُ

وزهورَهُ خَـــجِـــلاً من العـــشـــاقِ

هل هذه بغـــداد؟ كنتُ عَـــرَفْـــتُـــهـــا

تـأبى مـــهـــادَنَةَ الدَخـــيلِ العـــاقِ

تـأبى مُـــســـاوَمَـــةً على شـــرفِ الهـــوى

فَـــتـــذودُ دونَ شَـــذاهُ بالأرْمـــاقِ

وَرِثَتْ عن «المنصـورِ» صـــهـــوةَ عَـــزْمِـــهِ

وعن «الحـــسين» مكارمَ الأخـــلاقِ

هـل هذه بـغـــــداد؟ تـأكلُ ثَدْيَـهـــــا

فـــإذا بـهـــا وخـــؤونَهـــا بوفـــاقِ!

هذا عــراقُك يا «رشــيــدُ» كــبــا بِهِ

جَــوْرٌ وعــدوانٌ وفــأسُ شِــقــاقِ[٢]

لو أَنَ لي أَمــــراً على قلبي فـــقـــد

عَــــجَّلْتُ من تِهْــيــامِــهِ بِطَلاقِ

عَــقَــدَتْ – ولا نَدَمٌ – عليــه قِـرانـهـا

روحي فَـمَـهْـري – غربةٌ – وصِـداقي

أَخْــفَــقْتُ في عــشــقي فكنتُ طريدَهُ

إنَّ التَــغَــرُّبَ منْتَــهى الإِخــفــاقِ

* *

هذا دمي يا نخلُ ... مُصَّ رفــيــفَــهُ

فلقــــد رأيتُكَ ظامئَ الأَعْــــذاقِ

أَسْــعِفْ خــريفي بالربيع لِيَنْتَــشي

ورد المنى في روضــةِ المشـــتــاقِ (٣)

أو فـــاسْـــقِني كـــأسَ الظلامِ لمقلةٍ

مــا أَبْصَــرَتْ إلاّ مــســيلَ مُــراقِ

فَـعـسـاي أَلْتَـمِسُ العـزاءَ فـلا أرى

وطني ذبيــحــاً والدمــاءَ ســواقي

يا أنتَ يا قلبي أَمِـــثْلُكَ في الهـــوى

يشكو مـــواجعَ غـــربةٍ وفِــراقِ؟

أَوَلَسْتَ من صـــام الشــبــابَ مكابراً

عن مـــاءِ أعنابٍ وخـــبـــزِ عناقِ؟

والمُتْـــمِــــلاتِ لذاذةً بمبــــاسمٍ
والمـمطـراتِ عـــــــذوبـةً بمـاَقــي؟
يا مَنْ أَضَــعْتَ طفــولةً وَفُــتُــوَّةً
مـاذا سَـتَـخْـسَـرُ لو أَضَـعْتَ البـاقي؟
هل في جِـرارِ العــمـر غـيـرُ حُـثـالةٍ؟
فــاطبقْ كـتــابكَ ... لات وقتَ تلاقي

* *

(١) الذعاق: المرّ
(٢) اشـارة الى ظلم وطغـيـان وعـدوانيـة النظام العـراقي الســابق واسـتـجـلابه الكوارث للعـراق، بما في ذلك كـارثة الاحـتـلال الامـريكي الغاشم.
(٣) الضمير في «أسعف» و«اسقني» يعود على الساقي

ماذا تغير؟

مــاذا تَغَــيَّــرَ؟ نَفْــسُــهــا الأُسُسُ ...
أمّـــــا الجـــــديدُ فـــــإنَّهُ الدلَسُ [1]
بالأمسِ كـــان اللصُّ يَنْهَـــشُنا ...
واليــومَ؟ يَنْهَشُ لحــمَنا العَــسَسُ [2]
مُــــــدُنٌ تُبـــــادُ لأَنَهــــا نَطَقَتْ
لِتُــشـاد أخــرى طَبْــعُــهـا الخَــرَسُ
زَعَمَ «المُحـــــرِّرُ» أَنْ ســــيـــمنَحُنا
حـــــريَّةً تُفــدى ... وَتُقْـــتَــبَسُ
حـــــــريــةٌ ... لكن يُرادُ بِـهـــــا
وَأْدُ الـهـــدى والعُـــــهْـــرُ والدَّنَسُ!

* *

(١) الدلس: الخديعة
(٢) العسس: الحراس – والمراد به هنا «المحتلون»

صوتُكِ مزماري

صوتُك مزماري

دَجَّنَ أفعى الحزنِ في حديقتي

فاغْتَسَلَتْ بالعطرِ أزهاري

صوتُكِ يا قديستي

حَبْلٌ من النورِ نَشَرْتُ فوقَهُ

قميصَ أسراري ..

وصفحةٌ ضوئيةٌ

كتبتُ في سطورِها أَعَفَّ أشعاري

وَبُرْدَةُ عُشبيَّةٌ ..

تَدَثَّر القلبُ بها .. فلم يَعدْ

يخافُ من بَرْدٍ وإعصارِ

صوتُك صار مَلْمَحاً مني

فما سَمَعْتُهُ –

إلاّ وأَضْحَتْ غيمةً من أَلَقٍ داري

يُثْمِلُني من دونما خطيئةٍ

فَيَسْكر الصحو على نافذتي

يزرعني ترتيلةً في حقلِ قيثاري

صوتُكِ كان أَوّلَ الماشينَ

في جَنازةِ اليأسِ الذي أَثْكَلَ مِشواري

وأَوّلَ المسافرينَ بيْ

الى ممالكِ الريحانِ والغارِ ..

هذَّبني ...

أقامَ جسرَ أُلْفَةٍ بين فراشاتي

وبين الريحِ والنارِ

زخّي على مسامعي لحوَنكَ العذراءَ

كي تنبضَ أوتاري

عشرةَ أعوامٍ –

وما زلتُ على بابِ هواكِ صائماً

متى إذَنْ موعدُ إفطاري؟

عشرةَ أعوامٍ

وما زلتُ على تَلَّةِ عمري ساهراً

مرتقباً هِلال وجهِكِ الذي لوَّنَ أفكاري

بالماءِ والنارِ

عشرةَ أعوامٍ –

وما مَرَّ على بَرِيَّتي موسمُ أمطارِ ..

وها أنا

أحفرُ بالأضلاعِ صخرَ الشوقِ

علَّ صخرةً تَزفُّ لي

بشارةَ النَبْعِ لأشجاري!

* *

خذي بأمري

أَلْتَــــذُّ بالجــــرحِ ليـــــأْتيني
صـــوتُكِ بالطيبِ فَـيُـشـفـيني
فَطَمْتِ عـــــينيَّ فـــــلا تفطمي
سَـمْـعي ... فَـهَـمْسُ منكِ يكفـيني
فـــيـــا عـــفـــافـــاً رَتَّلَتْ بوحَـــهُ
مـــئـــذنةُ الروحِ أَجـــيـــبـــيني
مـــا للمـــســـافـــاتِ التي بيننا
تُدْنيكِ من قلبي وتُقْـــصـــيني؟

والـوردُ فـي روضِـكِ مـــــــا سِــــــرُّهُ

يـأبـى ظِـلالاً مـن بـســـــــــاتـيـنـي؟

لِـمَ اصـطفــــــاكِ الـقـلـبُ يـاقـــــوتـةً

قـــــدســــيَّــــةً إنْ لـمْ تُـزيـنـيـنـي؟

أَخَـــــــذْتِـنـي مـنـي عـلـى غَــــــفْـلَـةٍ

خلفَ المدى ... فـــلا تُـعــيـــديـني

خُـــــذي بـأَمـــــري فـــــأنـا ضـــــائـعٌ

فـيـكِ .. فـضـيـعي بـيْ لِـتَــهْـديـني

مـن دونِـكِ الـعـــشـقُ يـتـــيـمُ الـشـــذا ...

وأنـتِ؟ كـــيـف الـعـــشـقُ مـن دونـي؟

وهل عصافيرُكِ تصبو إلى

عُشٍّ بأهدابِ أَفانيني؟

لا تَحذَري من نَزَقي .. إِنني

ناسكةٌ حتى شياطيني!

دعي المرايا ... إنَّ ليْ مُقْلَةً

أصفى ... بعشبٍ ورياحينِ

ولي فمٌ يُتْقِنُ رشفَ الندى

أَمّا يدي فَغُصْنُ زيتونِ

أَخْطَأْتِ لو ظَنَنْتِني في الهوى

أجنحُ من هَوْنٍ إلى هُوْنِ [١]

أَمُصُّ – لو عَطَشْتُ – دغـــــلاً ولا

كـــــأسَ نميــــــرٍ من يدِ الدُّوْنِ (٢)

وأَسْـــــتَـــحي مني إذا أَرْخَـــصَتْ

عـــبـــيـــرَها روضـــةُ نســـريني

كـــابَرْتُ .. لا عـــشـــبي ارتضى مِنَّةً

مـن الـيـنـابـيـعِ ... ولا طـيـنـي

مـــــا لـي ولـلـينبـــــوعِ في ذلَّةٍ

فــــقطرةٌ في العــــزِّ ترويني

ولي مـــــــروءاتي التي دونَـهـــــا

يَبْـــــرَأُ قلبي من شــــراييني

جَـــرَّبَني الصَّــبْــــرُ فَـــأَذْهَلْتُــــهُ
وَظَنَّ أَنَّ اليُـــسْــــرَ يُشــــقــــيني

رضـــــــيتُ بالحـــــالِ التي بيننا
فكلُّ مـــــا يُرْضـــيكِ يُرْضـــيني
إنَّ الذي خـــــضَّـــــبني باللظى
نَــفْــسُ الــذي بــاتَ يُــداويــنـــي
مَكَّنْتَ مني عَطَشـــاً فـــاسْـــقِني
كــفــاكَ بالوعــدِ تُســـاقـــيني
البِــــرُّ قَـــــدْ يُفْــــسِـــــدُهُ اَجِلُ
فــالغـدُ يبـقى غـيَـر مـضــمـونِ (٣)

مُـــــدِّي يَد الوصلِ عـــــسى نخلتي
تَـزْدانُ زهـراءَ بـعــــــــرجـــــــونِ

* *

(١) الهَون: بفتح الهاء: الوقار.
الهُون: بضم الهاء : الذلة.
(٢) الدون: الحقير، الخسيس.
(٣) تضمين للمثل العربي: خير البر عاجله.

إغنميني

تَعافَيْتُ من داءِ يأْسي ..

ومن ظَنٍّ أمسي ..

فَجِئْتُ إليكِ أقودُ سفينةَ عمري

فلا تخسريني ...

أنا مُتْرَفُ .. مَتْرَفُ ... فاغْنَميني

وكوني ضِفافَ اليقينْ

أنا أَوَّلُ الحالمينْ

بكوخٍ على هُدْبِ نَبْعٍ تَوَسَّطَ بُســــــتـــانَ تينْ

فلا تخسريني ..

سأُهديكِ ثوباً من الوردِ

فَيْئاً نَدِيّاً كجفنٍ تَنَدّى بدمعِ الحنينْ

وأسقيكِ راحاً من النبعِ في كوزِ طينْ

وخبزاً نَقِيّاً كماءِ الجبينْ

سأُمطِرُ بَرْدَكِ دفئاً

وَصَيْفَكِ بَرْدا ...

أَجودُ – إذا أَصْحَرَ الشوقُ – وَجْدا

فماذا تُريدينَ أكثرَ من أَنْ

أصوغَ لك الوردَ عِقدا؟

وأغسلَ باللثمِ جيداً وَخَدّا؟

وماذا تريدينَ

أكثر من أَنْ يكونَ الهوى الطائعَ المستبدا؟

أنا آخرُ الفاتحينْ

حصاني حصيرٌ من الخوصِ

سيفي يَراعُ

وَدِرْعيَ غصنٌ من الياسمينْ

فماذا تُريدينَ أكثرَ من أَنْ تكوني المليكةَ

في واحةِ العاشقينْ؟

جَواريكِ بَطٌّ ... وحُرّاسُكِ النخلُ والياسمينْ

وماذا تريدينَ أكثرَ من أَنْ

تسيلَ على قدميكِ الجداولْ

وتأكلَ من راحتيكِ البلابلْ؟

أكثرَ من أَنْ تنامي

يُغَطّيكِ عشبٌ

ويحرسُ عينيكِ صَبٌّ أمينْ

تَحطُّ على شَفَتيكِ الفراشاتُ ...

يغتاظُ ثغري ... فأضحكُ ..

أضحكُ من غَيْرَةِ المُسْتكينْ

فَتَستيقظينْ

على كركراتِ فتاكِ الطليقِ السجينْ؟

وماذا تريدينَ أكثر من أَنْ أكونَ

سفيرَ هواكِ لدى الأزمنهْ

أُمَثِّلُ طُهْرَكِ في حضرةِ المئذنهْ

وأنقلُ للسوسنَهْ

تفاصيلَ أشذائكِ المُزْمِنَهْ؟

وماذا تريدينَ

أكثرَ من أن اكون صريعَ هواكِ

فأُورثُ عينيكِ دمعي ...

وأُورثُ خَدّيكِ رَوْعي ...

وأُوْرِثُ ليلَكِ مفتاحَ بابِ الأَرَقْ ...

وَصُبْحَكِ ما كان لي من قلقْ ...

وأُورِثُ جيدَكِ ياقوتةَ الصبرِ

عندي من الصبرِ فَيْضٌ ...

وكنزُ جنونٍ دفينْ

وأُورِثُ صدركِ همّاً كثيراً

لديَّ من الهمِّ ما سوف يكفيكِ عمراً طويلاً

ويُغْنيكِ عن أنْ تمدي يديكِ

لساعةِ حزنٍ من العالمينْ

فماذا تريدينَ

أكثرَ من أَنْ تكوني

وريثةَ هذا الشقيّ الحزينْ؟

* *

القصائد

اسم القصيدة — الصفحة

صدر للشاعر

- عيناك دنيا
- قصائد في زمن السبي والبكاء
- قلبي على وطني
- جرح باتساع الوطن
- من اغاني المشرد
- الاختيار
- عيناك لي وطن ومنفى
- رباعيات
- هذه خيمتي فأين الوطن؟
- أطبقت أجفاني عليك
- الأفق نافذتي
- زنابق برية